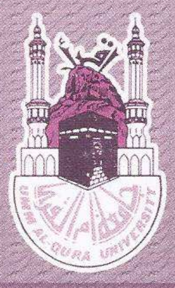

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى

معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي

مركز البحوث التربوية و النفسية

الهداية في القرآن الكريم

ومضامينها التربوية

إعداد الدكتور

عبدالرحمن بن سعيد بن حسين الحازمي

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالى
جامعة أم القرى
معهد البحوث العلمية
مركز البحوث التربوية والنفسية

سلسلة البحوث ال

الهداية في القرآن الكريم

ومضامينها التربوية

إعداد الدكتور
عبد الرحمن بن سعيد بن حسين الحازمي

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

ح جامعة أم القرى، ١٤٢٨هـ.
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.
الحازمي، عبدالرحمن بن سعيد
الهداية في القرآن الكريم ومضامينها التربوية. / عبدالرحمن بن سعيد الحازمي – مكة المكرمة، ١٤٢٨هـ
٩٦ ص ؛ ١٧×٢٤ سم
١ – علوم القرآن ٢ – القرآن – مباحث عامة
أ. العنوان
ديوي ٢٢٠ ٦٢٤٤ / ١٤٢٨
رقم الإيداع: ٦٢٤٤ / ١٤٢٨
ردمك: ٦ – ٨٥٠ – ٠٣ – ٩٩٦٠ – ٩٧٨

الطبعة الأولى

حقوق الطبع محفوظة لجامعة أم القرى

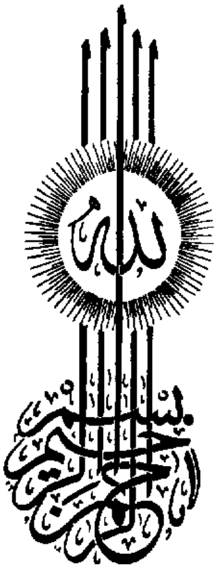
بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً ﴾ (الإسراء: ٩).

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمِ

حديث شريف:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض "

(الحاكم، حديث رقم ٣١٩، ج ١، ص ١٧٢).

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
قائمة المحتويات.	٥
المقدمة.	٧
أولاً: المعنى اللغوي والاصطلاحي للهدى.	٩
ثانياً: أنواع الهدى.	١٣
ثالثاً: هداية الرسول الكريم ﷺ .	١٤
رابعاً: أوصاف القرآن الكريم.	١٧
أ – أوصاف القرآن الكريم في القرآن.	١٨
ب – أوصاف القرآن الكريم في الأحاديث النبوية الشريفة.	٢٩
ج – أوصاف القرآن الكريم عند المشركين.	٣١
خامساً: أهمية القرآن الكريم وأثره في النفوس.	٣٢
سادساً: الاستجابة والتفاعل مع النصوص الشرعية.	٣٧
سابعاً: الدعاء بطلب الهداية.	٤١
ثامناً: وسائل هداية القرآن الكريم.	٤٦
تاسعاً: هداية القرآن الكريم.	٤٧
عاشراً: أصول هداية القرآن الكريم.	٥٥
الحادي عشر: بعض المضامين التربوية المستنبطة من الآيات التي ترتبط فيها الهداية بالقرآن الكريم.	٦٠
الثاني عشر: الخاتمة.	٨٦
قائمة المصادر والمراجع.	٨٩

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، أما بعد:

فمنذ أن قَدّرَ الله تعالى هبوط أبينا آدم وأمنا حواء وإبليس اللعين إلى الأرض بعث سبحانه وتعالى الرسل عليهم الصلاة والسلام وأنزل الكتب السماوية لتكون كتب هداية وإرشاد وبيان ودلالة للناس إلى الطريق المستقيم قال تعالى: (قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة:٣٨)، وقال تعالى: (قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى) (طه:١٢٣)، ثم أوضح الله تعالى هذه الهداية في العديد من الآيات عند ذكر بعض الكتب السماوية كالتوارة والإنجيل فقال تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ)(المائدة: من الآية٤٤)، وقال تعالى: (وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدىً وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ) (المائدة:٤٦)، وقال تعالى: (وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدىً وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ) (الأعراف:١٥٤).

ثم جاء القرآن الكريم خاتمها وأفضلها وأشرفها وأكملها وأشملها ومهيمناً عليها فقال تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) (المائدة: ٤٨)، وقال تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) (النمل: ٧٦).

إن القرآن الكريم كتاب هداية وإصلاح وإرشاد وبيان، وهذه الحقيقة مؤكدة بنصوص شرعية، تنطلق من قوله تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً) (الإسراء: ٩).

وهذه الحقيقة الناصعة لهداية القرآن الكريم يجب علينا معاشر المسلمين اليوم أن نعود إليها وبصدق لوضعها ضمن أولويات تخطيطنا لكافة شؤون حياتنا عقدياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً وثقافياً وقل ما شئت من نواحي الحياة المعنوية والمادية، ولذلك ينبغي تعاون ولاة الأمر والعلماء والحكماء والمفكرين والمتخصصين والمثقفين بل وجميع أطياف المجتمع ذكوراً وإناثاً صغاراً وكباراً شيوخاً وشباباً للأخذ بهذا المنهاج الرباني القويم وتطبيقه وتحكيمه والرجوع إليه وفق رؤى فقهية معتدلة ومرنة ومتطورة ومتجددة تواكب العصر وتأخذ بمستجداته وتراعي احتياجات المجتمع والأمة وأولياتها مع المحافظة على الأصول والقواعد العامة للشريعة الإسلامية.

ولذلك فسوف أدلي بدلوي المتواضع فأعرض بحول الله وقوته جملة من الآيات الكريمة الموضحة لارتباط الهداية بالقرآن الكريم محاولاً بجهد المقل الوقوف على مضامينها التربوية التي ربما ستفيدنا بإذن الله تعالى في حياتنا المعاصرة.

سائلاً الله تعالى التوفيق والسداد، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

أولاً: المعنى اللغوي والاصطلاحي للهدى.

أ - المعنى اللغوي للهدى.

جاء في مختار الصحاح (مادة هدى) ما يلي:

الهُدَى: الرشاد والدلالة، يذكر ويؤنث، يقال: هَدَاهُ الله للدين يهديه هُدًى، وقوله تعالى: ﴿أولم يَهْد لهم﴾ (السجدة: ٢٦) قيل معناه: أو لم يبين لهم. وهَدَيْتُهُ الطريق والبيت هِدَايَةً عرَّفته، وقد ورد (هَدَى) في الكتاب العزيز على ثلاثة أوجه:-

الوجه الأول: مُعَدًّى بنفسه، كقوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾(الفاتحة:٦). وقوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (البلد:١٠).

الوجه الثاني: معدى باللام، كقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ (الأعراف: من الآية٤٣)، وقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾(يونس: من الآية٣٥).

الوجه الثالث: معدى بإلى، كقوله تعالى: ﴿وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ (صّ: من الآية٢٢).

ويؤكد هذا المعنى ابن كثير رحمه الله في تفسيره فيقول: والهداية: الإرشاد والتوفيق، وقد تعدى الهداية بنفسها ك ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة:٦) فتضمن معنى ألهمنا أو وفقنا أو أرزقنا أو أعطنا ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (البلد:١٠) أي: بينا له الخير والشر، وقد تعدى بإلى كقوله تعالى: ﴿اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (النحل: من الآية١٢١)، وقوله تعالى: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ (الصافات: من الآية٢٣)

وذلك بمعنى الإرشاد والدلالة، وكـــذلك قولـــه: {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (الشورى: من الآية٥٢) وقد تعدى باللام، كقول أهل الجنة: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا} (الأعراف: من الآية٤٣) أي: وفقنا لهذا وجعلنا له أهلاً (ج ١، ص ٢٨).

وجاء في لسان العرب (مادة هدى) ما يلي:

الهادي: من أَسماء الله تعالى، لأنه هو الذي بَصَّرَ عِبادَه وعرَّفَهم طَريقَ معرفته حتى أَقرُّوا برُبُوبيَّته، و هدى كل مخلوق إلى ما لا بُدَّله منه في بَقائه ودَوام وجُوده.

قيل: الهُدى ضدّ الضلال وهو الرَّشادُ، قول الله عز وجل: {قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى} (البقرة: من الآية١٢٠)، أَي: الصِّراط الذي دَعا إِليه، هو: طريق الحق. وقولـــه تعالى: {إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى} (الليل:١٢) أي: إِنَّ علينا أَنْ نُبَيِّنَ طَريقَ الهُدَى من طَرِيـــق الضَّلال.

وقيل في قوله عز وجل: {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ} (فصلت: ١٧) أي: بَيَّنَّـــا لهـــم طَريقَ الهُدى وطريق الضلالة واستَحَبُّوا أَي آثروا الضلالة على الهُـــدَى. وقولـــه تعالى: {أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ} (السجدة: ٢٦)، قيل: أَوَلم يُبَيِّنْ لهم.

ويقال: هديته إلى الطريق وللطريق على معنى أَرشَدْته إليها فيُعدَّى بحـــرف الجر كأَرْشَدْتُ، قال: ويقال: هَدَيْتُ له الطريقَ على معنى بَيَّنْتُ له الطريق، وعليه قوله سبحانه وتعالى: {أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ} (السجدة: ٢٦)، وقال تعالى: {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ} (البلد:١٠) وفيه: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} (الفاتحة:٦)، وفيه معنى طَلَب الهُدَى منه تعالى.

وهَدَى: بمعنى بَيَّنَ يقال: هَدَيتُ لك بمعنى بَيَّنْتُ لك. و الهُدى: النَّهار ُ؛ والهُدى: إخراج شيء إلى شيء. و الهُدى أَيضاً: الطاعةُ والوَرَعُ. و الهُدى: الهادي في قوله عز وجل: (أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدىً) (طه: من الآية١٠) والطريقُ يسمّى هُدىً، وفلان لا يَهْدي الطريقَ ولا يَهْتَدي ولا يَهَدِّي ولا يَهِدِّي.

ويقال: فلان يَذْهَب على هِدْيَته أَي على قَصْدِه. ويقال: هَدَيْتُ، أَي: قَصدْتُ. وهو على مُهَيْدِيَته أَي حاله.

وفلان يَهْدي هَدْيَ فلان: يفعل مثل فعله ويَسير سِيرَته. وفي الحديث: و اهْدُوا بِهَدْيِ عَمَّارٍ أَي سِيرُوا بسِيرَته وتَهَيَّأُوا بِهَيْئَته. وما أَحسن هَدْيَه أَي سَمْتَه وسكونه. وفلان حَسنُ الهَدْي و الهِدْية أَي الطريقة والسِّيرة. وما أَحْسَنَ هِدْيَتَهُ و هَدْيَه أَيضاً، بالفتح، أَي سِيرَته، والجمع هَدْيٌ مثل تَمْرة وتَمْرٍ. وما أَشبه هَدْيَه بِهَدْيِ فلان أَي سَمْتَه.

وفي حديث عبدالله بن مسعود ﷺ: إن أَحسَنَ الهدْيِ هَدْيُ محمدٍ (صحيح البخاري، حديث رقم: ٥٧٤٧، ج ٥، ص ٢٢٦٢).أَي: أَحسَنَ الطريقِ و الهداية والطريقة والنحو والهيئة.

وكلُّ متقدِّم هادٍ. و الهادي: العُنُقُ لتقدّمه ؛ و الهادِيةُ و الهادي: العُنُق لأَنها تَتَقَدَّم على البدَن ولأَنها تَهْدي الجَسَد. الأَصمعي: الهادِيةُ من كل شيء أَوَّلُه وما تَقَدَّمَ منه.

والهادِي: الدليل لأَنه يَقْدُمُ القومَ. و هَداه أَي تَقَّدمه ؛ و الهَدِيَّةُ: ما أَتْحَفْتُ به، يقال: أَهْدَيْتُ له وإِليه. و التَّهادِي: أَن يُهْدِي بعضُهم إِلى بعض. وفي الحديث: تَهادُوا تَحابُّوا، والجمع هَدايا.

ب - المعنى الاصطلاحي للهدى.

اتضح أن للهداية عند علماء اللغة معنيين:-

المعنى الأول: يدل على الدلالة والإرشاد والبيان وهو الذي يضاف إلى الرسل والقرآن والعباد. قال الله تعالى: (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (الشورى: من الآية٥٢)، وقال تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) (الإسراء: من الآية٩)، وقال تعالى: (هُدىً لِلْمُتَّقِينَ) (البقرة: من الآية٢)، ومنه قوله تعالى: (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ) (فصلت: من الآية١٧) أي: بينا لهم الطريق، ومنه قوله تعالى: (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ) (الإنسان: من الآية٣)، وقال تعالى: (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) (البلد: ١٠).

المعنى الثاني: يدل على اللطف والتوفيق والعصمة والتأييد وهو الذي تفرد الله به، ومنه قوله تعالى: (إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) (القصص: الآية٥٦) (النووي، شرح مسلم، ج ٦، ص ١٥٤)، (السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص٢٣).

ويقول ابن قيم الجوزيه رحمه الله، الهداية هي: البيان والدلالة، ثم التوفيق والإلهام، وهو بعد البيان والدلالة، ولا سبيل إلى البيان والدلالة، إلا من جهة الرسل، فإذا حصل البيان والدلالة والتعريف ترتب عليه هداية التوفيق وجعل الإيمان في القلب وتحبيبه إليه وتزيينه في القلب وجعله مؤثراً له راضياً به راغباً فيه، وهما هدايتان مستقلتان لا يحصل الفلاح إلا بهما، وهما متضمنتان تعريف ما لم نعلمه من الحق تفصيلاً وإجمالاً (مدارج السالكين، ج ١، ص ٩).

ثانياً: أنواع الهدى في القرآن الكريم:

لقد سبق التنويه إلى أن للهدى بشكل عام عند علماء اللغة معنيين: الدلالة والإرشاد والبيان، واللطف والتوفيق والعصمة، وقد فصل ابن تيمية رحمه الله الهدى في القرآن على أنواع ومن ذلك:-

أولاً: يقصد به العلم الذي بعث الله به رسوله ﷺ والعمل به جميعاً فيدخل فيه كل ما أمر الله به، كما في قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة:٦)، والمراد طلب العلم بالحق والعمل به جميعاً.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: من الآية٢)، والمراد به أنهم يعلمون ما فيه ويعملون به ولهذا صاروا مفلحين.

ثالثاً: قول أهل الجنة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ (الأعراف: من الآية٤٣)، وإنما هداهم بأن ألهمهم العلم النافع والعمل الصالح.

رابعاً: يُقرن الهدى بالاجتباء، كما في قوله تعالى: ﴿وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الأنعام: من الآية٨٧)، وكما في قوله تعالى: ﴿شَاكِراً لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (النحل: ١٢١)، وقوله تعالى: ﴿يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ (الشورى: من الآية١٣).

خامساً: قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾ (التوبة: من الآية٣٣)، والهدى هنا، هو: الإيمان، ودين الحق، هو: الإسلام، وإذا أطلق الهدى كان كالإيمان المطلق يدخل فيه هذا وهذا (انظر: الفتاوي، ج٧، ص ١٦٦).

ثالثاً: هداية الرسول الكريم ﷺ.

إن السنة النبوية المطهرة هي المصدر الثاني للتشريع في الإسلام بعد القرآن الكريم، وهي مكملة وشارحة له، وهي كالقرآن وحي من الله تعالى: (وما ينطق عن الهوى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) (النجم: ٤)، وقد أوجب الله تعالى العمل بما جاء به الرسول ﷺ واجتناب ما نهى عنه، فقال الله تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) (الحشر: من الآية٧)، وعن المقدام بن معد يكرب ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: " إني أوتيت الكتاب وما يعدله يوشك شبعان على أريكته أن يقول بيني وبينكم هذا الكتاب فما كان فيه من حلال أحللناه وما كان فيه من حرام حرمناه ألا وإنه ليس كذلك " (أبو داود، حديث رقم: ٤٦٠٤، ج ٤، ص ٢٠٠).

والقرآن الكريم والرسول ﷺ وما جاء به كلاهما هادٍ، فهما يحملان الهدى ويهديان الخلق لما فيهما من خير وصلاح، بل هما منهج لا تستقيم الحياة إلا بهما، فعن العرباض بن سارية ﷺ قال: وعظنا رسول الله ﷺ يوماً بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال رجل: إن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا يا رسول الله قال ﷺ: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبد حبشي فإنه من يعش منكم يرى اختلافاً كثيراً وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ " (الترمذي، حديث رقم: ٢٦٧٦، ج ٥، ص ٤٤).

ولما كانت السنة المطهرة مبينة وشارحة للقرآن الكريم وهي بالتأكيد وحي من الله تعالى فقد نشأت بينهما علاقة ارتباط قوية جداً لا يمكن فصلهما فمن حاول الاستدلال بالقرآن الكريم بمعزل عن السنة المطهرة أو العكس، كمن حاول التفريق بين أغصان الشجرة وأصلها وبين القريب وقريبه، وكل محاولة للاستغناء بأحدهما عن الآخر فإنما هي ضرب من العبث، وسير في عماية وخروج عن النهج المستقيم ذلك لأن السنة صنو القرآن الكريم وقرينته في الاستدلال والاحتجاج، والله تعالى تكفل بحفظهما معاً في قوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر:٩) والذكر يشملهما معاً (انظر: بحث السنة النبوية وحي من الله محفوظة كالقرآن الكريم للدكتور الحسين بن محمد آيت سعيد، مقدم لندوة عناية المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرة النبوية في الفترة من ١٥-١٧/٣/١٤٢٥هـ، ص ٤٣).

وقد أكد أبو لبابة بن الطاهر حسين بأن الله تعالى كما وعد بحفظ القرآن الكريم، فإنه تعالى تعهد بحفظ السنة إذ لا يحفظ المبيَّن إلا بحفظ المبيِّن، وقد قيّض الله تعالى للسنة من أبناء الأمة رجالاً أفذاذاً علماء ربانيين حفظوها ونفوا عنها ما ليس منها فكانت مع القرآن الدين القيّم (انظر: بحث السنة النبوية وحي من الله محفوظة كالقرآن الكريم، مقدم لندوة عناية المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرة النبوية في الفترة من ١٥-١٧/٣/١٤٢٥هـ، ص ٥٢).

ولما تأكد بوضوح تام أن القرآن الكريم والسنة المطهرة مكملان لبعضهما، فمن الطبيعي والمنطق أنهما متشابهان في هدايتهما فلا يُستغنى بهداية واحد منهما عن الآخر، وهناك شواهد قرآنية عديدة تؤكد هداية الرسول ﷺ وما جاء به، فمن ذلك:

١ – قوله تعالى: (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) (إبراهيم: من الآية١).

٢ – وقوله تعالى: (وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (البقرة: من الآية٢١٣).

٣ – وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (الحديد:٢٨).

٤ – وقوله تعالى: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الْأِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (الشورى:٥٢).

وبهذا فإن الدعاوى التي ينادي بها بعض قاصري النظر اليوم ممن انساقوا وراء أهوائهم وشبهات أعداء الملة والدين بالاستغناء عن السنة والاكتفاء بالقرآن الكريم وحده أو السنة المطهرة وحدها دعاوى باطلة لا تستند إلى دليل أو برهان أو حجة يعتد بها وهي مرفوضة جملة وتفصيلاً، وهي أقوال مخالفة لما عليه إجماع علماء المسلمين المعتد بعلمهم وفضلهم ومكانتهم في الماضي والحاضر وسيبقى الاعتماد على القرآن الكريم والسنة المطهرة مصدرين أساسيين للتشريع الإسلامي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وقد قرأت في جريدة الوطن السعودية العدد (١٤٧١) وتاريخ ١٤٢٥/٨/٢٥هـ الصفحة ٢٧ تحت عنوان: (نظمه مركز ابن خلدون ودعا إلى إلغاء تفاسير القرآن الكريم وعلماء أزهريون يهاجمون نتائج المؤتمر [الإسلام

والإصلاح]) وجاء في الخبر ما نصه " إن المؤتمر ما هو إلا ترديد أعمى لمقولات المستشرقين الذين يهاجمون الإسلام ويشككون في القرآن والسنة على حد سواء وأن ما دار فيه من مطالب بإبعاد السنة النبوية المطهرة هو تكرار ممجوج لما دار في مؤتمر المثقفين العرب الذي استضافته وزارة الثقافة المصرية مطلع يوليو من عام ٢٠٠٣ وتصدى له علماء الأزهر في حينه ".

وأختم هذا الموضوع بتأكيد جميل للشيخ حسنين بن محمد مخلوف رحمه الله في تقريظه لكتاب الحديث والمحدثون للشيخ محمد محمد أبو زهو، ص ٣، حيث قال: " ألا فليعلم ذلك النفر، وليعلموا أن الله تعالى إذ حفظ كتابه من المعتدين، حفظ سنة رسوله التي أقامها من كتابه مقام الشرح والبيان، من كل اعتداء وعدوان، فستبقى محفوظة بحفظ الله، عالية الذرى، ناصعة الجبين، واضحة المحجة، ظاهرة الحجة، داعية إلى الحق والهدى، نابذة للضلالة والعمى، رغم أنوف الغواة والمضللين ".

رابعاً : أوصاف القرآن الكريم.

إن مما يؤكد عظمة القرآن الكريم ومكانته أن الله أنزله هدى وإرشاداً لخلقه، وضمنه أوصاف الكمال والجمال والإعجاز، وهي أوصاف مستحقة له تليق بكلام ربنا وخالقنا ومدبر أمرنا جل في علاه وتقدست أسماؤه، وبعض أوصافه هذه متشابهة في معانيها ومتكررة حسب سياق السور، ولكنها تتكرر بألفاظ مختلفة لأهداف وأغراض تربوية متنوعة.

وفيما يلي ذكر لأوصاف القرآن الكريم في القرآن، ثم أذكر بعض أوصافه في السنة الشريفة، وأخيراً أشير إلى بعض أوصافه عند المشركين.

أ: أوصاف القرآن الكريم في القرآن.

هناك جملة من أوصاف القرآن الكريم وردت في القرآن الكريم، ومن تلك الأوصاف ما يلي:-

أولاً: أنه لا شك فيه ولا ريب، قال تعالى: (ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ) (البقرة: من الآية٢).

ثانياً: أن هدايته لا تحصل إلا لأهل التقوى، قال تعالى: (هُدىً لِلْمُتَّقِينَ) (البقرة: من الآية٢).

ثالثاً: أنه الصراط المستقيم، قال تعالى: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) (الفاتحة:٦).

رابعاً: أنه يهدي للتي هي أقوم وأصوب وأعدل في كل شيء، قال تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً) (الإسراء:٩).

خامساً: أنه أحكمت ألفاظه وفصلت معانيه، قال تعالى: (الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) (هود:١)، وقال تعالى: (كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ) (فصلت: من الآية٣).

سادساً: أنه لا يمكن لأحد أي كان أن يُدخل فيه ما ليس منه، قال تعالى: (لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) (فصلت:٤٢).

سابعاً: أنه ليس به عوج ولا ميل ولا زيغ، قال تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا) (الكهف:١).

ثامناً: أنه مبارك لما فيه من الخير والنعم الكثيرة، قال تعالى: {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ} (الأنعام: من الآية٩٢)، {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (الأنعام:١٥٥)، وقال تعالى: {وَهذا ذِكْرٌ مُبارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ} (الأنبياء: من الآية٥٠)، وقال تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ} (صّ: من الآية٢٩).

تاسعاً: أنه يخرج الناس من ظلمات الكفر والضلالة إلى نور الإيمان، قال تعالى: {الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} (إبراهيم:١)، وقال تعالى: {يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ} (المائدة: من الآية١٦)، وقال تعالى: {هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} (الحديد: من الآية٩)، وقال تعالى: {رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} (الطلاق: من الآية١١).

عاشراً: أنه واضح سليم من النقص والتغيير والتبديل، قال تعالى: {وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً} (الكهف:٢٧).

الحادي عشر: أنه تذكرة لأولي الألباب وهم المنتفعون بما فيه من الخيرات النافعة، قال تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} (آل عمران:٧)، وقال تعالى: {أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ}

(الرعد:١٩)، وقال تعالى: {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} (صٓ:٢٩)، وقال تعالى: {هُدىً وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ} (غافر:٥٤).

الثاني عشر: إنزال آياته باللغة العربية التي هي أكمل وأفضل اللغات وأفصحها وأوسعها، قال تعالى: {كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} (فصلت:٣)، قال تعالى: {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} (الشعراء:١٩٥)، وقال تعالى: {قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ} (الزمر: من الآية٢٨).

الثالث عشر: أنه كامل لا اختلافات فيه لكونه من الله تعالى المُتره عن ذلك، قال تعالى: {أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً} (النساء:٨٢).

الرابع عشر: أنه حصن وحجاب وستر ومنعة من كل أذى، قال تعالى: {وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُوراً} (الإسراء:٤٥).

الخامس عشر: أنه معجز في نظمه وفي تراكيبه وفي ألفاظه وفي معانيه، قال تعالى: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً} (الإسراء:٨٨).

السادس عشر: أنه يشتمل على كل خير يصل به الإنسان إلى سعادة الدنيا والآخرة، قال تعالى: {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً} (الإسراء:٨٩). {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً} (الكهف:٥٤). و قال تعالى: {مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى} (طه:٢).

السابع عشر: أنه ميسر الألفاظ للحفظ والأداء ومعانيه للفهم والعلم، قال تعالى: (فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ) (مريم: من الآية٩٧)، وقال تعالى: (فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) (الدخان:٥٨)، وقال تعالى: (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) (القمر:١٧).

الثامن عشر: قوة تأثيره فلو أنزله الله تعالى على الجبال الراسيات لخشعت وتجاوبت معه، قال تعالى: (لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (الحشر: ٢١).

التاسع عشر: أنه شفاء ورحمة للمؤمنين المصدقين بآياته العاملين بها، قال تعالى: (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) (الإسراء: من الآية٨٢).

العشرون: أنه محفوظ بحفظ الله حال إنزاله وبعد إنزاله فحفظت ألفاظه ومعانيه من التغيير والزيادة والنقص دون غيره من الكتب السماوية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر:٩).

الواحد والعشرون: أنه شامل لكل شيء، قال تعالى: (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) (الأنعام: من الآية٣٨)، وقال تعالى: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ) (النحل: من الآية٨٩).

الثاني والعشرون: أنه نَزَلَ بالعدل والحق والأمور الحميدة ونهى فيه عن الظلم والأمور المستقبحة، قال تعالى: (وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَنَذِيراً) (الإسراء:١٠٥).

الثالث والعشرون: أنه يهدي إلى الصواب والخير ويوصل إلى الجنة دار النعيم المقيم والخير العميم، قال تعالى: (قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ) (الأحقاف: ٣٠).

الرابع والعشرون: أنه عجباً، يهدي إلى السداد والنجاح في الدنيا والآخرة، قال تعالى: (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً) (الجن: ٢).

الخامس والعشرون: أنه فيه برهان وحجج قاطعة وأنوار ساطعة لبيان الحق لمن أراد الحق ووفق له، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً) (النساء: ١٧٤).

السادس والعشرون: وصفه بالروح لأنه تحيا به القلوب كما تحيا بالأرواح الأبدان، قال تعالى: (رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ) (غافر: ١٥).

السابع والعشرون: أنه موعظة وتذكرة وزاجراً ومانع للمتقين، قال تعالى: (هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ) (آل عمران: ١٣٨)، وقال تعالى: (وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلاً مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ) (النور: ٣٤)، وقال تعالى: (وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ) (الحاقة: ٤٨).

الثامن والعشرون: أنه أحسن القصص و أحسن الحديث، لصدقه وسلامة عباراته، ووضوح ألفاظه ومعانيه، قال تعالى: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا

الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ) (يوسف:٣)، وقال تعالى: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ) (الزمر: من الآية٢٣).

التاسع والعشرون: أنه متشابه في حسنه ومثاني أي: يكرر المعاني لتثبيتها في الأذهان، ثم بعد ذلك تقشعر منه جلود الخائفين من الله عندما يسمعون هذه المعاني وما فيها من الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، والبشارة والإنذار، قال تعالى: (كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) (الزمر: من الآية٢٣).

الثلاثون: أنه نبأ وخبر عظيم الشأن لا يُستخف به، ويدعى إلى هداه ويعمل به، قال تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ) (الحجر:٨٧)، وقال تعالى: (قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ) (ص:٦٧). وقال تعالى: (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ) (النبأ:١-٢).

الواحد والثلاثون: أنه قرآن كريم حق لا ريب فيه ولا شك وكثير الخير والعلم، قال تعالى: (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ) (الواقعة:٧٧).

الثاني والثلاثون: أنه ذكر لجميع المكلفين الإنس والجن يتذكرون به ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، قال تعالى: (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) (ص:٨٧)، وقال تعالى: (وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) (القلم:٥٢)، وقال تعالى: (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) (التكوير:٢٧).

الثالث والثلاثون: أنه يفرق بين الهدى والضلال والحق والباطل والغي والرشاد، قال تعالى: (مِنْ قَبْلُ هُدىً لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ) (آل عمران: من الآية٤)، وقال تعالى: (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً) (الفرقان:١).

الرابع والثلاثون: أنه نور للبصائر، أي: القلوب، قال تعالى: (هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) (الجاثية: ٢٠).

الخامس والثلاثون: أنه مُعَظَّمٌ وموقر ومطهر من الدنس ومحفوظ من الزيادة والنقص، قال تعالى: (فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ، مَرْفُوعةٍ مُطَهَّرَةٍ) (عبس:١٣-١٤)، وقال تعالى: (رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفاً مُطَهَّرَةً) (البينة: ٢).

السادس والثلاثون: أنه مزدجر وواعظ من ارتكاب المحظورات الشرعية، قال تعالى: (وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ) (القمر: ٤).

السابع والثلاثون: فيه حكمة بالغة في هدايته لمن هداه الله وإضلاله لمن أضله، قال تعالى: (حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ) (القمر: ٥). وقال تعالى: (يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ)(البقرة: من الآية٢٦).

الثامن والثلاثون: أنه ذكرى للمؤمنين، وهم المنتفعون بما فيه من التوجيهات والمبادئ والقيم السامية دون غيرهم، قال تعالى: (كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) (الأعراف: ٢)، وقال تعالى: (كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) (الأعراف: ٢).

التاسع والثلاثون: أنه حديث الله، قال تعالى: (أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ) الأعراف: ١٨٥)، وقال تعالى: (تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ) (الجاثية: ٦)، وقال تعالى: (فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ) (المرسلات: ٥٠).

الأربعون: أنه موعظة وزاجر عن الفواحش، ورحمة وذكرى للمؤمنين لأنهم هم المنتفعين به دون غيرهم، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ)(يونس:٥٧)، قال تعالى: (هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ) (آل عمران:١٣٨)، قال تعالى: (وَكُلّاً نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) (هود:١٢٠)، قال تعالى: (وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلاً مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ)(النور:٣٤).

الواحد والأربعون: أنه محكم لكل ما جاء فيه من الحلال والحرام والحدود والأحكام، قال تعالى:(الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ) (يونس:١)، وقال تعالى: (يس، وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ) (يس: ١-٢).وقال تعالى: (الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) (هود:١).

الثاني والأربعون: أنه المجيد، أي: الشريف والرفيع القدر، قال تعالى: (ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ) (قّ:١).

الثالث والأربعون: أنه كلام الله، قال الله تعالى: (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ) (التوبة: من الآية٦).

الرابع والأربعون: أنه فرقان، قال تعالى: (نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ، مِنْ قَبْلُ هُدىً لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ) (آل عمران: من الآية٣-٤)، وقال تعالى: (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً) (الفرقان:١).

ويقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره: عند قوله تعالى: (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً) (الفرقان: ١). أي الفارق بين الهدى والضلال والحق والباطل والغي والرشاد بما يذكره الله تعالى من الحجج والبينات والدلائل الواضحات والبراهين القاطعات ويبينه ويوضحه ويفسره ويقرره ويرشده؟ إليه وينبه عليه.

الخامس والأربعون: أنه حبل الله، قال تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا) (آل عمران: من الآية١٠٣). ويقول البيضاوي رحمه الله في تفسيره في معنى حبل الله فيه استعارة لأن التمسك بالقرآن الكريم سبب للنجاة من الردى، كما أن التمسك بالحبل سبب للسلامة من التردي (ج ٢، ص ٧٣).

السادس والأربعون: أنه قيم، أي: مستقيم معتدل، قال تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا)، (قَيِّماً لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ) (الكهف: الآية ١ - ٢).

السابع والأربعون: أنه قول فصل، أي: حق وعدل يفصل بين الحق والباطل، قال تعالى: (إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ) (الطارق:١٣).

الثامن والأربعون: تنزيل من رب العالمين، قال تعالى: (وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الشعراء:١٩٢)، وقال تعالى: (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (السجدة:٢) (تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ) (يّـس:٥)، وقال تعالى: (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) (الزمر:١)، وقال تعالى: (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) (غافر:٢)، وقال تعالى: (تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) (فصلت:٢)، وقال تعالى: (تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) (فصلت:

من الآية٤٢) {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} (الجاثية:٢)، وقال تعالى: {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} (الأحقاف:٢)، وقال تعالى: {تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (الواقعة:٨٠)، وقال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً} (الإنسان:٢٣).

التاسع والأربعون: أنه العلم الحقُّ، قال تعالى: {وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ} (البقرة: من الآية١٢٠)، وقال تعالى:{وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ}(البقرة: من الآية١٤٥).

الخمسون: أنه العروة الوثقى، قال تعالى: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا}(البقرة: من الآية٢٥٦)، قال تعالى: {وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى} (لقمان: من الآية٢٢).

الواحد والخمسون: أنه الصدق، قال تعالى: {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْكَافِرِينَ}(الزمر:٣٢)، قال تعالى: {وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} (الزمر:٣٣).

الثاني والخمسون: أنه أمر الله، أي: حكمه وشرعه، قال تعالى: {ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً} (الطلاق:٥).

الثالث والخمسون: بشير ونذير، أي: بشير بالجنة ونذير من عذاب النار: قال تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ} (البقرة:١١٩)، قال تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ} (فاطر:٢٤)، قال تعالى: {بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ} (فصلت:٤).

الرابع والخمسون: أنه كتاب عزيز لا يتطرق إليه باطل ولا تحريف، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ) (فصلت: ٤١).

الخامس والخمسون: أنه بلاغ للناس، أي تبليغ وعظة لما فيه من اتباع الخير واجتناب الشر، قال تعالى: (هَذَا بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ) (إبراهيم: ٥٢).

السادس والخمسون: فيه بشارة للمؤمنين والمتقين لقاء ما يعملونه من أعمال صالحة، وإنذار للمشركين والعصاة مما اقترفت أيديهم من المعاصي والآثام، قال تعالى: (وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً) (الإسراء: من الآية٩)، قال تعالى: (وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً) (الكهف: من الآية٢)، قال تعالى: (لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدّاً) (مريم: من الآية٩٧).

السابع والخمسون: أنه مهيمن على الكتب السماوية التي سبقته حيث إنه مشتمل على ما فيها وزيادة في المطالب الإلهية والأخلاق النفسية، قال تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ) (المائدة: من الآية٤٨).

الثامن والخمسون: أنه يتضمن الوعيد أي: التخويف والتهديد والثواب والعقاب، قال تعالى: (وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً) (طه: ١١٣).

التاسع والخمسون: أنه عزيز: بعيد ومنيع عن كل تحريف وسوء، قال تعالى: (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ) (فصلت: من الآية٤١).

ب: أوصاف القرآن الكريم في الأحاديث النبوية الشريفة.

جاء في سنة النبي ﷺ أوصاف عدة للقرآن الكريم في غاية الروعة والجمال، وتستحق منا معاشر المسلمين حفظها وتدبرها ونشرها والعناية بها منها:-

١- أنه نبأ ما قبلنا وخبر ما بعدنا، وحكم ما بيننا، وهو الفصل ليس بالهزل، فعن على بن أبي طالب ﷺ، قال: يقول ﷺ: " ألا إنها ستكون فتنة، فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهُدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يَخْلَق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: (إنَّا سَمِعْنَا قُرْآنَاً عَجَباً، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً) (الجن:١-٢)، من قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم " (الترمذي، باب ما جاء في فضل القرآن، حديث رقم ٢٩٠٦، ج ٥، ص ١٧٢).

٢- أنه مأدبة الله تعالى وحبل الله والنور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن تبعه، فقد ورد في الحديث عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال النبي ﷺ: إن هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا من مأدبته ما استطعتم إن هذا القرآن حبل الله والنور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن تبعه لا يزيغ فيستعتب ولا يعوج فيقوّم ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق من

كثرة الرد اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات أما إني لا أقول ألم حرف ولكن ألف ولام وميم (الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ج ١، ص ٧٤١). (وقال المنذري في الترغيب والترهيب وهو صحيح، ج ٢، ص ٢٣١).

٣- أنه الصراط المستقيم، جاء في الحديث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ: يقول الصراط المستقيم كتاب الله تعالى (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١، ص ٢٨).

٤- أنه شفيع لأصحابه، يقول النبي ﷺ: اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة قال معاوية بلغني أن البطلة السحرة (صحيح مسلم، حديث رقم ٨٠٤، ج ١، ص ٥٥٣).

٥- أنه العروة الوثقى، فعن مغيرة بنت حسان رضي الله عنها، قالت: سمعت أنساً رضي الله عنه يقول: (فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى) (البقرة: من الآية٢٥٦) قال: القرآن (مصنف ابن أي شيبة، حديث رقم: ٣٠٠١٧، ج ٦، ص: ١٢٦).

٦- أنه حجة لنا أو علينا، فعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماوات والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها (صحيح مسلم، باب فضل الوضوء، حديث رقم: ٢٢٣، ج ١، ص ٢٠٣).

ج: أوصاف القرآن الكريم عند المشركين.

القرآن الكريم معجز في لغته، وهي اللغة التي تميزت بها قريش وعُرف عنها الفصاحة والبلاغة والشعر، وعلى الرغم من عداوة بعضهم للرسول ﷺ إلا أنهم ما أن سمعوا القرآن الكريم حتى تأثروا به وأنطق الله الحق على ألسنتهم فوصفوه بأوصاف مستحقة فمن ذلك ما يأتي:-

١- جاء الوليد بن المغيرة إلى النبي ﷺ، وكان المقدم في قريش بلاغة وفصاحة وكان يقال له ريحانة قريش، فقرأ ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (النحل: ٩٠)، وقال له أعده فأعاد ذلك، قال: والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما يقول هذا بشر وإنه ليعلو ولا يعلى عليه (الحلبي، السيرة الحلبية، ج٣، ص ٣٤٤).

٢- وفي قصة ذكرها ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره لسورة فصلت، وكذلك ذكرها في (البداية والنهاية، ج ٣، ص ٦٣) أن قريشاً اجتمعت يوماً فقالوا انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولننظر ماذا يرد عليه فقالوا: ما نعلم غير عتبة بن ربيعة، فجاء عتبة إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد أنت خير أم عبد الله فسكت رسول الله ﷺ فقال: أنت خير أم عبد المطلب فسكت رسول الله ﷺ فقال: إن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك، أيها الرجل إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً، وإن

كان بك الباءة فاختر أي نساء قريش شئت فلتزوجك عشراً فقال رسول اللهﷺ: فرغت، قال: نعم، فقال رسول الله ﷺ: (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، (تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) (فصلت:٢)، حتى بلغ (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ) (فصلت:١٣)، فقال عتبة حسبك حسبك، ورجع عتبة إلى بيته واحتبس عنهم فقال أبو جهل يا معشر قريش والله ما نرى عتبة إلا قد صبأ إلى محمد، فانطلقوا إليه، وقالوا له: ما حبسك عنا إلا قد صبأت، فقال لهم: لقد أتيته وقصصت عليه القصة فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر وقرأ السورة إلى قوله تعالى: (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ) (فصلت:١٣) فأمسكت بفيه وناشدته بالرحم أن يكف وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب فخشيت أن يترل بكم العذاب.

خامساً: أهمية القرآن الكريم وأثره في النفوس.

يجب أن يستقر في ذهن كل مسلم اليقين الكامل بأهمية القرآن الكريم مربياً وموجهاً ومصلحاً لكافة شؤون الحياة استناداً لمنطوق الآيات القرآنية المؤكدة على شموله لكل شيء، فمنها قوله تعالى: (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) (الأنعام: الآية٣٨)، وقوله تعالى: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ) (النحل: الآية٨٩)، بل إن التمعن والتأمل والنظر والتطبيق لسورة أو حتى آية منه تكون كافية لهداية الناس لخيري الدنيا والآخرة، وقد قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى عن سورة العصر بأنها: لو لم يُنزل الله سوى هذه السورة لكفت الناس، وأيضاً جاء في البرهان في علوم القرآن للزركشي إن قوله تعالى: (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ

مَسْجِد وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) (الأعراف: ٣١) وهي آية واحدة أنها جمعت أصول أحكام الشريعة كلها فجمعت الأمر والنهي والإباحة والتخيير (ج٢، ص١٣).

وقد أورد القرطبي في تفسيره أن كعب الأحبار قال: لقد أنزل الله على محمد ﷺ آيتين أحصتا ما في التوراة والإنجيل والزبور والصحف وهي: (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ | (الزلزلة: ٧-٨)، كما أورد أيضاً أنه قدم صعصعة عم الفرزدق على النبي ﷺ فلما سمع قوله تعالى: (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ) (الزلزلة: ٧-٨) قال: لا أبالي ألاّ أسمع من القرآن غيرها حسبي فقد انتهت الموعظة. (ج ٢٠، ص ١٥٢-١٥٣)، كما أورد القرطبي أن ابن مسعود ؓ قال عن آية (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ..) (النحل: الآية٩٠): هذه أجمع آية في القرآن لخير يمتثل ولشر يجتنب (ج١٠، ص ١٦٥).

وقد أورد ابن رجب في جامع العلوم والحكم أن آية (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً) (الطلاق: ٢) قرأها النبي ﷺ على أبي ذر ؓ وقال له لو أن الناس كلهم أخذوا بها لكفتهم ويقول ابن رجب يعني لو حققوا التقوى والتوكل لاكتفوا بذلك في مصالح دينهم وديناهم)(ج ١، ص٤٣٦).

أما عن أثر القرآن الكريم في النفوس المؤمنة فهذا مما أثبته الله تعالى في كتابه فقال تعالى: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) (الزمر: ٢٣)، وأورد القرطبي عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما

قالت: كان أصحاب النبي ﷺ إذا قُرِيء عليهم القرآن كما نعتهم الله تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم (ج١٥، ص ٢٤٩).

ويقول سيد قطب رحمه الله: " إن الآية الواحدة لتصنع أحياناً في النفس حين تستمع لها وتنصت أعاجيب من الانفعال والتأثر والاستجابة والتكيف والرؤية والإدراك، والطمأنينة والراحة، والنقلة البعيدة الواعية المستنيرة مما لا يدركه إلا من ذاقه وعرفه! " (الظلال، ج٣، ص ١٤٢٥-١٤٢٦).

ولقد كان الرسول ﷺ أول المتأثرين بسماع القرآن الكريم فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال لي النبي ﷺ: " اقرأ عليّ قلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل ! قال: نعم، فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً) (النساء: ٤١)، قال: حسبك الآن، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان (البخاري، باب قول المقرئ للقارئ حسبك، حديث رقم ٤٧٦٣، ج ٤، ص ١٩٣٥).

وإليك أيها القارئ الكريم جملة من أخبار السلف المتأثرين بالقرآن الكريم:

١- أورد الغزالي رحمه الله في الإحياء أن عمر بن الخطاب ﷺكان يسقط من الخوف مغشياً عليه إذا سمع آية من القرآن وكان يعاد أياماً، و قرأ ﷺ عنه إذا الشمس كورت وانتهى إلى قوله تعالى: (وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ) (التكوير: ١٠) فخر مغشياً عليه، ومر يوماً بدار إنسان وهو يصلي ويقرأ سورة والطور، فوقف يستمع فلما بلغ قوله تعالى: (إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِع، مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ) (الطور: ٧-٨) نزل عن حماره واستند إلى حائط ومكث زماناً ورجع إلى منزله فمرض شهراً يعوده الناس ولا يدرون ما مرضه (ج ٤، ص١٨٣- ١٨٤).

٢- وأورد البيهقي في شعب الإيمان عن ابن أبي مليكة قال: سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يرتل القرآن ويقرأ حرفاً حرفاً ويكثر من النشيج والنحيب ويقرأ قوله تعالى: (وَجاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ ما كُنتَ مِنهُ تَحِيد) (قٓ:١٩) (ج ٢، ص ٣٦٥).

٣- وقال مقاتل بن حيان صليت وراء عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقرأ قوله تعالى: [وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ] (الصافات:٢٤) فجعل يكررها وما يستطيع أن يتجاوزها (البداية والنهاية، ٩، ص ٢٠٤).

٤- روي عن أويس بن عامر القرني رحمه الله أحد التابعين الزهاد، أنه قرأ قوله تعالى: (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ، مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ)، إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ، يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئاً وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ)، إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) (الدخان:٣٨ - ٤٢)، فشهق شهقة كاد أن يغشى عليه (الواسطي، مجمع الأحباب، ج ٢، ص ٨٥).

٥- روي أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله قام يصلى ذات ليلة فأتى على قوله تعالى: (يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ) (القارعة:٤)، فجعل يجول في الدار ويقول: ويلي من يوم يكون الناس كالفراش المبثوث، وتكون الجبال كالعهن المنفوش، فلم يزل كذلك حتى طلع الفجر، ثم سقط كأنه ميت (الواسطي، مجمع الأحباب، ج ٢، ص ٢٦٣).

٦- روي أن محمد بن المنكدر رحمه الله أحد التابعين قام يصلي ذات ليلة فبكى بكاءً شديداً وغشي عليه فلما أفاق سأله أهله عن سبب البكاء فلم يستطع الكلام واستمر باكياً فأرسلوا إلى أحد أصدقائه المقربين يقال له أبا حازم

رحمه الله فجاء إليه فقال له: يا أخي ما لذي أبكاك؟ فقد خاف أهلك عليك فقال: ذكرت قوله تعالى: (وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) (الزمر:٤٨)، قال: فبكى أبو حازم معه، واشتد بكاؤهما، فقال بعض أهله لأبي حازم: جئنا بك لتفرج عنه، فزدته؟! فأخبره بالذي أبكاهما (الواسطي، مجمع الأحباب، ج ٢، ص ٣٦٧).

٧- روي أن عمر بن عتبة رحمه الله من كبار تابعي الكوفة أشتهر بالعبادة والزهد فلما توفي دخل بعض أصحابه على أخته فسألها من وراء حجاب عنه، فقالت: قام ذات ليلة فاستفتح (حم) فلما أتى على هذه الآية (وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ) (غافر:١٨)، فما جاوزها حتى أصبح (الواسطي، مجمع الأحباب، ج ٢، ص ٤٩٧).

٨- روي أن أبا حنيفة رحمه الله قام ليلة وهو يقرأ قوله تعالى: (بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ) (القمر:٤٦)، ويرددها ويبكي ويتضرع (الواسطي، مجمع الأحباب، ج ٣، ص ٣٤٠).

٩- روي عن علي بن الفضيل بن عياض رحمه الله أنه كان جالساً بحضرة مجلس عند والده فقرأ رجل (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) (المطففين:٦)،فسقط مغشياً عليه (الواسطي، مجمع الأحباب، ج ٤، ص ١٢١).

١٠- روي عن يحيى بن سعيد القطان رحمه الله (ت ١٩٨ هـ)، أنه سمع قارئاً يقرأ قوله تعالى: (إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ) (الدخان:٤٠)، فصعق وخر مغشياً عليه وما أفاق إلا بعد حين فلما أفاق جعل يقول: (إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ) (الدخان:٤٠) (الواسطي، مجمع الأحباب، ج ٤، ص ٢١٤).

تعالى: {يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً، وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً} (مريم:٨٥-٨٦)، فصاح ثم أغمي عليه، ولم يزل مغمى عليه زماناً، فلما أفاق جعل يكرر {يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً، وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً} (الواسطي، مجمع الأحباب، ج ٤، ص ٣٧٤).

١٢- روي أن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قرأ مرة سورة المطففين فلما بلغ قوله تعالى: {يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} (المطففين:٦)، سقط مُغمى عليه ولم يكمل السورة (عقيلان، أبطال ومواقف، ص ١٦٢).

١٣- روي أن الربيع بن خثيم الثوري رحمه الله أحد التابعين والملازمين للصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ﷺ، مر هو وعبد الله بن مسعود على حدادين يصهرون الحديد على شاطئ الفرات فقرأ عبد الله بن مسعود ﷺ يذكر النار {إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً، وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً} (الفرقان:١٢ -١٣) فصعق الربيع رحمه الله حين سمع القراءة ولازمه ابن مسعود ﷺ حتى أفاق فعاد به إلى أهله (عقيلان، أبطال ومواقف، ص ١٧٦).

سادساً: الاستجابة والتفاعل مع الآيات القرآنية.

يقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} (الأنفال:٢٤)، وقال: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا

مُؤْمِنَة إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً) (الأحزاب: ٣٦).

في ظل هذه التوجيهات القرآنية ما أحوجنا معاشر المسلمين اليوم إلى الاستجابة والتفاعل الإيجابي القوي مع الآيات القرآنية في ظل تفلت بعض المسلمين من هذه النصوص بحجج واهية وتأويلات فاسدة تسببت في ما نشاهده اليوم من انفلات في القيم والمبادئ الإسلامية أدى إلى تخلف أمتنا وتراجعها عن ركب الأمم المتقدمة.

وهناك العديد من النماذج التي توضح الاستجابة الراقية والتفاعل الإيجابي مع النصوص الشرعية وتبين لنا بجلاء تمسك الصحابة رضوان الله عليهم بما جاء به الشارع الحكيم، وسوف أشير إلى بعض هذه النماذج لتكون نبراساً لنا في التعامل مع النصوص الشرعية.

١- لا يخفى على الكثير قصة عمر بن الخطاب ﷺ مع المرأة القرشية عندما أراد أن يحدد مهور النساء، فقد ذكرها المفسرون عند تفسير قوله تعالى: (وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً) (النساء: ٢٠) فقيل أن عمر بن الخطاب ﷺ صعد المنبر ثم قال أيها الناس ما إكثاركم في صداق النساء وقد كان رسول الله ﷺ وأصحابه رضوان الله علهم وإنما الصدقات فيما بينهم أربعمائة درهم فما دون ذلك ولو كان الإكثار في ذلك تقوى الله أو مكرمة لم تسبقوهم إليها فلا أعرفن ما زاد رجل في صداق امرأة على أربعمائة درهم ثم نزل فاعترضه امرأة من قريش فقالت له يا أمير المؤمنين نهيت الناس أن يزيدوا النساء في صدقاهن

على أربعمائة درهم قال نعم فقالت أما سمعت ما أنزل الله يقول: (وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً) (النساء: ٢٠)، فقال اللهم غفرانك كل الناس أفقه من عمر ثم رجع فركب المنبر فقال يا أيها الناس إني كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمائة درهم فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ٤٦٨)، (السيوطي، الدر المنثور، ج ٢، ص ٤٦٦).

٢- وفي قصة تحريم الخمر تأكيد لامتثال الصحابة الكرام لتوجيهات القرآن الكريم فلما نزل تحريم الخمر قال عمر بن الخطاب ؓ اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فنزل: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ) (البقرة: ٢١٩)، فدعى عمر فقرئت عليه فقال اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فنزل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ) (النساء: من الآية٤٣)، فكان منادى رسول الله ﷺ إذا قال: حي على الصلاة نادى لا يقربن الصلاة سكران فدعى عمر فقرئت عليه فقال اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فنزل: (إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) (المائدة: ٩١)، فدعى عمر فقرئت عليه فلما بلغ قول الله تعالى: (فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) قال عمر ؓ: انتهينا (أبو داود، حديث رقم: ٣٦٧٠، ج ٣، ص ٣٢٥)، (الترمذي، حديث رقم: ٣٠٤٩، ج ٥، ص ٢٥٣).

٣- وقصة الحجاب وسرعة استجابة نساء الأنصار به نموذج رائع للمرأة المسلمة مع النصوص الشرعية، فلما نزلت آية الحجاب قالت عائشة رضي الله عنها إن لنساء قريش لفضلا وإني والله مارأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقاً لكتاب الله ولا إيماناً بالتنزيل لقد أنزلت سورة النور وليضربن بخمرهن على جيوبهن انقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل الله إليهم فيها ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته وعلى كل ذي قرابته فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها[أكسية من صوف أو خز توضع على الشعر (مختار الصحاح)] فاعتجرت [لف العمامة على الرأس (مختار الصحاح)]به تصديقاً وإيماناً بما أنزل الله من كتابه فأصبحن وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم معتجرات كأن على رؤوسهن الغربان (أبو داود، حديث رقم: ٤١٠٠، ج ٤، ص ٦١).

٤- وقصة عمر بن الخطاب وأبي بكر الصديق رضي الله عنهما عند حضور وفد بني تميم، فعن نافع بن عمر عن بن أبي مليكة، قال: كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع، وأشار الآخر برجل آخر، قال نافع لا أحفظ اسمه، فقال: أبو بكر لعمر ما أردت إلا خلافي، قال: ما أردت خلافك، فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ) (الحجرات: ٢)، قال ابن الزبير رضي الله عنه، فما كان عمر يُسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه (صحيح البخاري، حديث رقم: ٤٥٦٤، ج ٤، ص ١٨٣٣).

وهذه النماذج تؤكد شدة تمسك الصحابة رضوان الله عليهم بتوجيهات القرآن الكريم، وهو منهج سار عليه بقية سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان، وكان من ثمار هذا التمسك أن حققت الأمة بتوفيق الله تعالى حضارة إسلامية لم يشهد لها التاريخ مثيلاً، وما أن بعدت الأمة عن هذا المنهج القويم حتى تراجعت حضارتها شيئاً فشيئاً وأصبحت اليوم أمة توصف بأنها متخلفة لأنها لا تملك من أسباب القوة المادية المعاصرة شئياً يذكر، ولا خلاص لها من هذا التخلف الموسومة به إلا بالعودة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض " (الحاكم، حديث رقم ٣١٩، ج ١، ص ١٧٢)، وروي عن الإمام مالك رحمه الله تعالى قوله: " لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها " (الفتاوى، ج ٢٧، ص ٣٩٦).

سابعاً: الدعاء بطلب الهداية.

هناك جملة من الأدعية الشرعية التي تحض الإنسان المسلم على طلب الهداية، فمنها ما هو واجب ولا يكتمل الدين إلا به، ومنها ما هو غير واجب ولكن الإنسان المسلم لا يمكن أن يستغني عنها ألبتة لحاجته للهداية في كل أموره، وسوف أذكر بعض هذه الأدعية وهي:-

١- قال تعالى: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) (الفاتحة:٦).

٢- قال تعالى: (رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) (آل عمران:٨).

٣- عن عائشة رضى الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا قام من الليل يصلى يقول: اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك انك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم فهو يسأل ربه أن يهديه لما اختلف فيه من الحق (سنن الترمذي، حديث رقم ٣٤٢٠، ج ٥، ص ٤٨٤).

٤- عن مالك الأشجعي عن أبيه رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يعلم من أسلم يقول: اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني (صحيح مسلم، حديث رقم: ٢٦٩٧، ج٤، ص ٢٠٧٣).

٥- وأخرج الطبراني في الدعاء عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يرفع صوته عشية عرفة يقول اللهم اهدنا بالهدي وزينا بالتقوىِ واغفر لنا في الآخرة والأولى (السيوطي، الدر المنثور، ج١، ص ٥٥٠).

٦- ويقول الرسول ﷺ: اللهم اهدنا فيمن هديت وعافنا فيمن عافيت وتولنا فيمن توليت وبارك لنا فيما أعطيت وقنا شر ما قضيت إنك تقضي ولا يقضى عليك إنه لا يذل من واليت تباركت وتعاليت (صحيح ابن حبان، ج ٢، ص ٤٩٩).

٧- ويقول الرسول ﷺ: اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت (مسلم، صحيح مسلم، حديث رقم: ٧٧١، ج ١، ص ٥٣٥).

٨- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يدعو: رب أعني ولا تعن علي وانصرني ولا تنصر علي وامكر لي ولا تمكر علي واهدني ويسر هداي إلي وانصرني على من بغى علي اللهم اجعلني لك شاكراً لك ذاكراً لك راهبا لك مطواعاً إليك مخبتاً أو منيباً رب تقبل توبتي واغسل حوبتي وأجب دعوتي وثبت حجتي واهد قلبي وسدد لساني واسلل سخيمة قلبي(ابو داود، سنن أبي داود، حديث رقم ١٥١٠، ج ٢، ص ٨٣).

٩- عن الحسن ﷺ عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول: ربنا اغفر لي وارحمني واهدني للطريق الأقوم (مسند الإمام أحمد، حديث رقم ٢٦٦٣٣، ج ٦، ص ٣٠٣).

١٠- ويقول الرسول ﷺ: اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى (صحيح مسلم، حديث رقم: ٢٧٢١، ج ٤، ص ٢٠٨٧).

١١- عن أبي وائل عن عبد الله ﷺ قال:كنا لا ندري ما نقول إذا جلسنا في الصلاة وكان رسول الله ﷺ:قد عُلم جوامع الكلم وخواتمه، قال: فذكر التشهد، وقال كان رسول الله ﷺ يعلمنا كلمات كما يعلمنا التشهد اللهم ألف بين قلوبنا واصلح ذات بيننا واهدنا سبل السلام ونجنا من الظلمات إلى النور وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن وبارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا وأزواجنا وذرياتنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم واجعلنا شاكرين لنعمك مثنين بها عليك قابلين لها وأتمها علينا)) قال الحاكم:هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه (المستدرك،حديث رقم ٩٧٧، ج ١، ص ٣٩٧).

١٢- ويقول الرسول ﷺ: اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة العدل والحق في الغضب والرضا وأسألك القصد في الفقر والغنى وأسألك نعيماً لا يبيد وقرة عين لا تنقطع وأسألك الرضا بعد القضاء وأسألك برد العيش بعد الموت وأسألك لذة النظر إلى وجهك وأسألك الشوق إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين (صحيح ابن حبان، ج٥،ص ٣٠٥).

١٣- عن علي ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: قل اللهم اهدني وسددني وأذكر بالهدى هدايتك الطريق والسداد سداد السهم (صحيح مسلم، حديث رقم ٢٧٢٥، ج ٤، ص ٢٠٩٠).

١٤- عن سعيد بن المسيب رحمه الله عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ:كان إذا استيقظ من الليل قال لا إله إلا أنت سبحانك اللهم إني استغفرك لذنبي وأسألك رحمتك اللهم زدني علما ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب (النسائي، السنن الكبرى، حديث رقم ١٠٧٠١، ج ٦، ص ٢١٦).

١٥- كان ابن مسعود ﷺ إذا دعا لأصحابه قال: اللهم اهدنا ويسر هداك لنا اللهم يسرنا لليسرى وجنبنا العسرى واجعلنا من أولي النهى اللهم لقنا نضرة وسروراً واكسنا سندساً وحريراً وحلنا أساور إله الحق اللهم اجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين بها قائليها وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم (مصنف ابن أبي شيبة، حديث رقم: ٢٩٥٢٧، ج ٦، ص ٦٨).

١٦- عن نافع أنه سمع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وهو على الصفا يدعو يقول: اللهم انك قلت ادعوني أستجب لكم وإنك لا تخلف الميعاد وإني أسألك كما هديتني للإسلام أن لا تنزعه مني حتى تتوفاني وأنا مسلم (موطأ مالك، حديث رقم: ٨٣١، ج ١، ص ٣٨٩).

ويقول ابن تيميه رحمه الله إن أنفع الدعاء و أعظمه و أحكمه دعاء الفاتحة، قال تعالى: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ) (الفاتحة: ٦-٧)، فانه إذا هداه هذا الصراط أعانه على طاعته وترك معصيته فلم يصبه شر لا في الدنيا و لا في الآخرة لكن الذنوب هي من لوازم نفس الإنسان و هو محتاج إلى الهدى في كل لحظة و هو إلى الهدى أحوج منه إلى الأكل و الشرب (الفتاوى، ج١٤، ص٣٢٠).

إن هذه النصوص الشرعية تؤكد لنا أهمية الدعاء بطلب الهداية من الله لحاجتنا الماسة لها لكي تستقيم لنا الحياة، لأن الله تعالى هو القادر على ذلك، فمن طلب الهداية من غيره ضل وتاه وتخبط، ورحمة بنا وإشفاقاً علينا قد هيأ لنا الله تعالى ذلك بصفة تلقائية ومستمرة تصل إلى أكثر من سبعة عشرة مرة في اليوم والليلة وذلك من خلال قراءة سورة الفاتحة في الصلوات الخمس المكتوبة وتحديداً قوله تعالى: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) (الفاتحة:٦)، وهذا يتطلب منا وبإلحاح التأكيد على المحافظة على الصلوات الخمس بأركانها وواجباتها وسننها وغرسها في نفوس الناشئة كما دلت على كل ذلك النصوص الشرعية الموضحة في مواضعها، مع المحافظة على الأدعية الشرعية الواردة بطلب الهداية والتي ذكرت بعضاً منها.

ثامناً: وسائل هداية القرآن الكريم.

لا شك أن هداية القرآن الكريم مطلب غالٍ لا يتأتى لكل أحد ولا ينتفع به أي إنسان إلا من وفقه الله تعالى لذلك، وهناك جملة من الوسائل التي يمكن من خلالها تحصيل الهداية بإذن الله تعالى وتوفيق، ومنها:-

١- توفيق الله تعالى لنعمة الهداية: قال تعالى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود: من الآية٨٨).

٢- الإيمان بالله تعالى، وهو محور أساس في الدين لأنه يعني التصديق والاستسلام لكل ما جاء به الشرع من المغيبات، ومن وُفق لذلك، وُفق بعناية الله إلى هداية القرآن الكريم: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف:٢٠٣).

٣- تقوى الله تعالى، فهي الطريق الأوحد لكسب هداية القرآن الكريم، ويؤكد ذلك الكثير من النصوص، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة:٢)، وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ (البقرة: من الآية٢٨٢)، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدىً وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ (محمد:١٧).

٤- اتباع القرآن الكريم والتمسك بما جاء به من أوامر ونواهٍ، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (آل عمران: من الآية١٠١).

٥- البعد عن اتباع الهوى لأنه سبب للزيغ والهلاك، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ (الأنعام:٥٦).

٦- عدم اتباع الشيطان وخطواته لأنه العدو الأول للإنسان المتربص به، قال تعالى: (قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) (الأنعام: ٧١)، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (النور: ٢١).

٧- إخلاص العبادة لله وتوحيده، وعدم الشرك به، قال تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) (الأنعام: ٨٢).

٨- المجاهدة في اتباع أوامر الله واجتناب نواهيه سبب رئيس لحصول الهداية من الله، قال تعالى: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) (العنكبوت: ٦٩).

تاسعاً: هداية القرآن الكريم.

إن القرآن الكريم دستور أمة خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ، هذه الأمة المباركة التي تميزت بخصائص فريدة لم تكن لأمة قبلها فجعلها الله خير أمة خرجت للناس، قال تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) (آل عمران: من الآية ١١٠).

وهداية القرآن الكريم أصل من أصوله، ومعقد مقاصده، وأهم أغراضه التي يجب أن تتوجه إليها العزائم، بأساليب تستجيب إلى نداء العلم والمعرفة في هذا

العصر وفيما يستقبل من الزمن، بما لا يخالف أصول الإسلام التي جاء بها القرآن العظيم وبينتها السنة الشريفة وأجمعت عليها الأمة (عرجون، القرآن العظيم هدايته وإعجازه، ص ٢٢٢).

وقد احتوى القرآن الكريم على صنوف متعددة من الهداية شملت جوانب الحياة كلها، وبها دون غيرها تتحقق السعادة المنشودة على وجه الكرة الأرضية، وجاء ذلك مؤكداً بنص القرآن الكريم فقال تعالى: (إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً) (الإسراء:٩).

ولما كانت هذه الآية الكريمة هي منطلق فكرتنا ومحور بحثنا، فإنه يجدر بنا التعرف على بعض أقوال المفسرين فيها للاهتداء بما توصلوا إليه من تأويلات تثري موضوعنا وتفتح لنا أفاقاً جديدة لهداية القرآن العظيم.

وقد اخترت بعضاً من أقوالهم التي أكدوا فيها شمول الهداية في هذه الآية الكريمة، وذكروا بعض تفصيلاتها، وسوف أشرع بحول الله وتوفيقه في ذكر ذلك لتكون واضحة بين يدي القراء الكرام.

أولاً: الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله.

يقول الشيخ السعدي رحمه الله في تفسيره: أن هذه الآية الكريمة: (إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً) (الإسراء:٩)، يخبر الله تعالى فيها عن شرف القرآن وجلالته وأنه أعدل وأعلى العقائد والأعمال والأخلاق فمن اهتدى بما يدعو إليه القرآن كان أكمل الناس وأقومهم وأهداهم في جميع الأمور.

ثانياً : الشيخ سيد قطب رحمه الله.

ويقول سيد قطب رحمه الله في ظلال هذه الآية الكريمة: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً) (الإسراء:٩)، أي أن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم هكذا على وجه الإطلاق فيمن يهديهم وفيما يهديهم، فيشمل الهدى أقواما وأجيالا بلا حدود من زمان أو مكان ؛ ويشمل ما يهديهم إليه كل منهج وكل طريق، وكل خير يهتدي إليه البشر في كل زمان ومكان.

يهدي للتي هي أقوم في عالم الضمير والشعور، بالعقيدة الواضحة البسيطة التي لا تعقيد فيها ولا غموض، والتي تطلق الروح من أثقال الوهم والخرافة، وتطلق الطاقات البشرية الصالحة للعمل والبناء، وتربط بين نواميس الكون الطبيعية ونواميس الفطرة البشرية في تناسق واتساق.

ويهدي للتي هي أقوم في التنسيق بين ظاهر الإنسان وباطنه، وبين مشاعره وسلوكه، وبين عقيدته وعمله، فإذا هي كلها مشدودة إلى العروة الوثقى التي لا تنفصم، متطلعة إلى أعلى وهي مستقرة على الأرض، وإذا العمل عبادة متى توجه الإنسان به إلى الله، ولو كان هذا العمل متاعا واستمتاعا بالحياة.

ويهدي للتي هي أقوم في عالم العبادة بالموازنة بين التكاليف والطاقة، فلا تشق التكاليف على النفس حتى تمل وتيأس من الوفاء. ولا تسهل وتترخص حتى تشيع في النفس الرخاوة والاستهتار. ولا تتجاوز القصد والاعتدال وحدود الاحتمال.

ويهدي للتي هي أقوم في علاقات الناس بعضهم ببعض: أفرادا وأزواجا، وحكومات وشعوبا، ودولا وأجناسا، ويقيم هذه العلاقات على الأسس الوطيدة الثابتة التي لا تتأثر بالرأي والهوى، ولا تميل مع المودة والشنآن ؛ ولا تصرفها المصالح والأغراض. الأسس التي أقامها العليم الخبير لخلقه، وهو أعلم بمن خلق، وأعرف بما يصلح لهم في كل أرض وفي كل جيل، فيهديهم للتي هي أقوم في نظام الحكم ونظام المال ونظام الاجتماع ونظام التعامل الدولي اللائق بعالم الإنسان.

ويهدي للتي هي أقوم في تبني الديانات السماوية جميعها والربط بينها كلها، وتعظيم مقدساتها وصيانة حرماتها فإذا البشرية كلها بجميع عقائدها السماوية في سلام ووئام (ص ٢٢١٦).

ثالثاً: الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله.

يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله في تفسيره أن هذه الآية الكريمة: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً} (الإسراء:٩)، قد أجمل الله جل وعلا فيها جملة ما في القرآن من الهُدى إلى خير الطرق وأعدلها وأصوبها، فلو تتبعنا تفصيلها على وجه الكمال لأتينا على جميع القرآن العظيم، لشمولها لجميع ما فيه من الهُدى إلى خيري الدنيا والآخرة، ثم ذكر فضيلته جملة وافرة من هدي القرآن الكريم على سبيل المثال وهي جديرة بقراءتها، وسوف أشير باختصار لها وهي:

١- ذكر توحيد الله تعالى وأن القرآن الكريم هدى فيه للطريق التي هي أقوم الطرق وأعدلها، وهي توحيده تعالى في ربوبيته وفي عبادته وفي أسمائه وصفاته مستشهداً في ذلك بالعديد من الآيات.

٢- جعل الطلاق بيد الرجل كما قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً) (الطلاق: ١).

٣- إباحته تعدد الزوجات إلى أربع، وأن الرجل إذا خاف أن يعدل بينهن لزمه الاقتصار على واحدة، قال تعالى: (فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً)(النساء: من الآية٣).

٤- ملك الرقيق المعبر عنه في القرآن بملك اليمين في آيات كثيرة، كقوله تعالى: (فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا) (النساء: من الآية٣).

٥- القصاص، قال تعالى: (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة: ١٧٩)، ويشاهد في أقطار الدنيا قديماً وحديثاً قلة وقوع القتل في البلاد التي تحكم بكتاب الله تعالى لأن القصاص رادع عن جريمة القتل.

٦- قطع يد السارق، قال تعالى: (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (المائدة: ٣٨).

٧- رجم الزاني المُحْصَن ذكراً كان أم أنثى، وجلد الزاني البكر مائة جلدة ذكراً كان أو أنثى، قال تعالى: (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) (النور: ٢).

٨- إن التقدم لا ينافي التمسك بالدين، كما خيله أعداء الدين لضعاف العقول ممن ينتمي إلى الإسلام من أن التقدم لا يمكن إلا بالانسلاخ من الإسلام وهو زعم باطل لا أساس له، والقرآن يدعو إلى التقدم في جميع الميادين التي لها أهمية في دنيا أو دين، ولكن يكون ذلك في حدود الدين والتحلي بآدابه الكريم وتعاليمه السماوية قال تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ) (الأنفال: ٦٠).

٩- بيانه أن كل من اتبع تشريعاً غير التشريع الذي جاء به سيدنا محمد فاتباعه لذلك التشريع المخالف كفر بواح مخرج من الملة الإسلامية، قال تعالى: (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) (المائدة: من الآية٤٤)، وقال تعالى: (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (المائدة: من الآية٤٥)، وقال تعالى: (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (المائدة: من الآية٤٧).

١٠- هديه إلى أن الرابطة التي يجب أن يعتقد أنها هي التي تربط بين أفراد المجتمع إنما هي رابطة دين الإسلام وأن أي رابطة غيره مرفوضة بإجماع المسلمين، قال تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (التوبة: ٧١)، وقال تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) (الحجرات:من الآية١٠).

ثم بين الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله بأن المصالح التي تدور عليها شرائع الدين ثلاثة هي:

أولاً: درء المفاسد المعروف عند أهل الأصول بالضروريات.

ثانياً: جلب المصالح، المعروف عند أهل الأصول بالحاجيات.

ثالثاً: السعي إلى مكارم الأخلاق ومحاسن العادات، المعروف عند أهل الأصول بالتحسينيات والتتميمات، وكل هذه المصالح الثلاث هَدَى فيها القرآن الكريم للطريق التي هي أقوم الطرق وأعدلها.

وختم الشيخ رحمه الله حديثه عن هدي القرآن للتي أقوم بأنه يهدي إلى حل المشكلات العالمية بأقوم الطرق وهي أعظم ما يعانيه العالم في جميع أنحاء العالم ممن ينتمي إلى الإسلام ومن تلك المشكلات والحلول لها ما يلي:

المشكلة الأولى وحلها: ضعف المسلمين في أقطار الدنيا - في العدد والعدة - عن مقاومة الكفار، وقد هدى القرآن الكريم إلى حل هذه المشكلة بأقوم الطرق وأعدلها، في أن علاج الضعف عن مقاومة الكفار إنما بصدق التوجه إلى الله تعالى وقوة الإيمان والتوكل على الله، لأن الله قوي عزيز قاهر فوق كل شئ فمن كان من حزبه على الحقيقة لا يمكن أن يغلبه الكفار ولو بلغوا ما بلغوا.ثم دلل الشيخ بغزوة الأحزاب والحصار العسكري الذي ضربه الكفار على المسلمين فالإيمان بالله وصدق التوكل عليه كان هو السبب في حل هذه المشكلة العظمى، بقوله تعالى: (وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً، وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً، وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَمْ تَطَأُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً) (الأحزاب:٢٥-٢٧).

المشكلة الثانية وحلها: تسليط الكفار على المؤمنين بالقتل والجرح وأنواع الإيذاء مع أن المسلمين على الحق والكفار على الباطل، ثم دلل الشيخ بما حدث للمسلمين في غزوة أحد من قتل عم النبي ﷺ وابن عمته ومثل بهما، وقتل غيرهما من المهاجرين وقتل سبعون رجلاً من الأنصار، وجُرح الرسول ﷺ، وشُقت شفته، وكُسرت رباعيته، وشُج.فلما استشكل ذلك على المسلمين بأنهم على الحق والمشركون على الباطل قال الله تعالى: (أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (آل عمران:١٦٥)، ثم عن سبب تسليط الكفار على المسلمين هو فشل المسلمين وتنازعهم في الأمر قال تعالى: (وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) (آل عمران:١٥٢)، ومن عرف أصل الداء عرف الدواء.

المشكلة الثالثة وحلها: اختلاف القلوب الذي هو أعظم الأسباب في القضاء على كيان الأمة الإسلامية لاستلزامه الفشل، وذهاب القوة والدولة كما قال تعالى: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (الأنفال:٤٦).

وقد بين الله تعالى في سورة الحشر أن سبب هذا الداء هو ضعف العقل قال تعالى: (تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ) (الحشر: من الآية١٤) وهذا الداء يعالج عن طريق إنارته بنور الوحي لأن نور الوحي يحيا به من كان ميتاً ويضيئ الطريق للمتمسك به، قال تعالى: (أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ

فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (الأنعام: ١٢٢)، وقال تعالى: (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (البقرة: ٢٥٧).

ويتضح لنا مما تم عرضه شمولية هداية القرآن العظيم لكل جوانب الحياة المختلفة كبيرها وصغيرها في الحاضر والمستقبل، وهو الحل الناجع الأكيد لأدوائنا التي نخرت جسد أمتنا وتتوغر فيه يوماً بعد يوم حتى أصبحت أمة مفرقة مشتتة تتلاطمها الأمواج العاتية وتقذف بها من ناحية إلى أخرى، ثم تبحث وتفتش عن الدواء يمنة ويسرة لدى ثقافات وأفكار وضعية خاوية منحرفة وبتناولها له يزيد الأمر سوءاً وتبقى قابعة في عللها مترنحة حتى تفيق وتثوب إلى رشدها متمسكة بدينها وبكتابها وسنة نبيها ﷺ.

عاشراً: أصول الهداية القرآنية.

تمت الإشارة فيما سبق إلى شمولية هداية القرآن العظيم لكل جوانب الحياة المختلفة، وقد تم ذكر أمثلة ونماذج لهذه الجوانب لتكون دليلاً ومرشداً لغيرها من جوانب الهداية الأخرى، وهنا سوف أستعرض بحول الله وقوته أصولاً عامة لهداية القرآن الكريم، وهي أيضاً بمثابة نماذج من أصول الهداية في القرآن الكريم لأن استقصاء واستيعاب كل الأصول يحتاج إلى جهد جماعي وتضافر كوكبة من العلماء الراسخين في العلم، والهدف من ذلك توجيه أنظار المهتمين بدراسة القرآن العظيم إلى بيان هداية القرآن في عصر طغت فيه النظريات الغربية وتعددت المذاهب الفكرية والاجتماعية والآراء الفلسفية التي صرفت الناس عن النظر في

هداية القرآن ومعرفة حقائقه والتمسك به والدعوة إليها (عرجون، القرآن العظيم هدايته وإعجازه، ص ١٦١).

ونختم هذا الموضوع بعرض جملة من أصول الهداية القرآنية مركزاً على ما ذكره الشيخ محمد الصادق عرجون في كتابه القيم الموسوم ب (القرآن العظيم هدايته وإعجازه) وذلك من (ص ١٧-١٥٤).

الأصل الأول: العقيدة.

وهداية القرآن الكريم في العقيدة الهدف منه تحقيق أقصى ما تتطلع إليه البشرية من الحقائق الموصلة إلى غرس الإيمان بمعرفة عظمة الله وقدرته الباهرة ومحكم تدبيره وسعة رحمته وتفرده بنعوت الربوبية والألوهية معرفة تطمئن لها القلوب وتؤمن بها العقول، والأمثلة المؤكدة على ذلك تزخر بها سور القرآن الكريم.

الأصل الثاني: التشريعات التعبدية.

وهي وسيلة الاتصال بالله تعالى والهدف من ذلك بيان وتحقيق أفضل ما رسمت به الشرائع السماوية من هداية تصل الخالق بالمخلوق صلة تعبد وزلفى تتقبل العقول أوضاعها التعبدية وتدرك آثارها الروحية كما بينها الرسول في أقواله وأفعاله وتقريراته وأفضل بيان لذلك قول الله تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (الفاتحة:٥).

الأصل الثالث: سياسة الخلق.

ويهدف هذا الأصل إلى تحقيق أبلغ ما تتطلع إليه النفوس من نظم في تدبير شؤون الحياة وفق أوضاع متناسقة من سياسة الخلق تعتمد على العدل والرحمة وتستشعر الإخاء والمحبة بين أبناء الإنسانية ليعيشوا في ظل هذا الإخاء متحابين

ينعمون بنعمة الأمن والسلام، ويمثل ذلك أبلغ تمثيل قول الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (النحل: ٩٠).

الأصل الرابع: الوشائج الاجتماعية بين الأفراد والجماعات.

ويهدف هذا الأصل إلى تحقيق أفضل نظام تقوم عليه وشائج الصلات بين الأفراد في المجتمع الواحد في إطار المصاهرة والنسب، كما يهدف إلى تحقيق أفضل نظام تقوم على أساسه وشائج الصلات العامة بين المجتمعات التي لا تربطها وشائج أكبر من وشيجة الإيمان بالله ورسوله وشريعته، ومن الأمثلة على ذلك قول الله عز وجل (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً) (النساء: ١).

الأصل الخامس: إيقاظ العقل وتحريره.

ويهدف هذا الأصل إلى وضع أصول ثابتة لفهم الحقائق الكونية والحكم عليها، ترد إلى العقل الإنساني اعتباره وتقديره ووزنه بقيمته الإنسانية الحقيقية التي جعلت من الإنسان كائناً مسيطراً على الحياة وموجهاً لها ورقيباً على نظمها وأوضاعها، وأول حوار في القرآن الكريم بين إبراهيم عليه السلام وبين طاغية عصره نمروذ كان العقل هو الذي حكم دائرته، قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (البقرة: ٢٥٨).

الأصل السادس: عوامل الدفع القيادية في المجتمع الإسلامي.

ويهدف هذا الأصل إلى بيان العوامل التي تدفع الأمة الإسلامية إلى آفاق الانطلاق والتقدم متحررة من أصار وأغلال الجمود والتأخر والرضا بالضيم والاستسلام للواقع، والآيات المؤكدة على جوانب من هذا الأصل كثيرة منها قوله تعالى: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (آل عمران: ١٠٤)، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً) (النساء: ١٣٥).

الأصل السابع: مكانة العلم في الحياة.

يهدف هذا الأصل إلى بيان مقام العلم وشرفه وسمو مكانته وموضعه من الحياة، وأنه من قيم دعائم بناء الحياة الإنسانية في نشأتها على الأرض، وفي متابعة تدرجها من مهدها إلى مراحل تكاملها في الوجود الفكري، والهداية القرآنية أعطت العلم مجاله الفسيح واحتفظت بحقها في التوجيه والإرشاد في مجالات الغيب الذي يستمد من الإيمان بالله تعالى، وبحقها في مجالات التعبد لله بما شرعه سبحانه وتعالى. ويتضمن القرآن الكريم العديد من الآيات التي ترفع من شأن العلم، قال تعالى: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (آل عمران: ١٨)، وقال تعالى: (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ) (المجادلة: من الآية ١١).

الأصل الثامن: التربية السلوكية.

يهدف هذا الأصل إلى بيان منهج القرآن الكريم وطريقته في التربية السلوكية للفرد والجماعة، والأسلوب المتبع هنا أسلوب يجعل من الفضائل الإنسانية دعامة لبناء المجتمع الإسلامي على قواعدها. ومن أمثلة ذلك ما أبرزته الهداية القرآنية عاملاً بارزاً من عوامل التربية السلوكية وهو تحمل المسؤولية والشعور بها ويقوم على ربط الجزاء بالعمل، قال تعالى: (لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ) (البقرة: من الآية٢٨٦)، ثم أشار إلى هداية القرآن الكريم في التربية السلوكية وركز على المسؤولية الاجتماعية أي تحميل الجماعة مسؤولية عملها الجماعي فذكر أن كل خطاب في القرآن الكريم بعنوان: (يا أَيُّهَا النَّاسُ) و (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) هو شاهد من شواهد التربية السلوكية في تحميل الجماعة مسؤولية العمل الجماعي.

الأصل التاسع: المجتمع البشري بين عناصر التماسك وعوامل الانحلال.

يهدف هذا الأصل إلى الكشف عن طريقة البيان القرآني نظرته إلى المجتمع البشري في أصل نشأته وعناصر نمائه بناءً اجتماعياً يصور تفكيره ولون حياته في أخلاقه وعاداته وطريقة عيشه في صورة موحدة الغايات والوسائل، وفي نظرته إلى الأطوار التي مر بها المجتمع في مراحل الحياة بين مد واتساع، وفي نظرته إلى الأطوار الانحدارية التي مر بها المجتمع بين جزر التفتت والانحسار، قال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) (الأنعام:١٢٣)، وقال تعالى: (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً) (الإسراء:١٦).

الأصل العاشر: أعجاز القرآن بين الهداية وروعة البيان.

وهذا الأصل هو لباب هدايات القرآن وزبدة رسالته، لأنه يحقق الآتي:-

أولاً: حجية القرآن لنفسه بوجوب اعتقاد صحة وصدق ما جاء به من ضروب الهداية علماً وعملاً.

ثانياً: حجيته على صدق من أرسل به نبينا محمد ﷺ ووجوب متابعته في جميع ما ثبت عنه قولاً أو فعلاً أو تقريراً.

والشواهد على ذلك كثيرة، قال تعالى: (وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ، بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ) (العنكبوت:٤٨-٤٩)، وقال ﷺ: " ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثر تابعاً يوم القيامة " (صحيح البخاري، حديث رقم ٦٨٤٦، ج٦، ص ٢٦٥٤).

الحادي عشر: بعض المضامين التربوية المستنبطة من الآيات التي ترتبط فيها الهداية بالقرآن الكريم.

القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد وبيان، ويؤكد هذه الهداية أنها تضمنت في أول سورة من القرآن، سورة الفاتحة التي عدّها العلماء أعظم سورة لأنها اشتملت على ملخص عام لما في القرآن العظيم، فقد جاء في الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: " أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم " (صحيح البخاري، حديث رقم ٤٤٢٧، ج ٤، ص ١٧٣٨)، وفيها قال تعالى: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) (الفاتحة:٦) وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: سمعت

رسول الله ﷺ يقول: الصراط المستقيم كتاب الله تعالى (انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١، ص ٢٨).

ثم جاءت بعدها سورة البقرة وأكدت في افتتاحيتها على أن الكتاب وهو من أسماء القرآن كتاب هداية، فقال تعالى: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ} (البقرة:٢) وهذه الإشارات بهداية القرآن الكريم قد أكدها المولى سبحانه في آية واضحة غاية الوضوح، فقال تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً} (الإسراء:٩).

وعليه فقد حاولت بعد حصر جملة من الآيات التي ترتبط فيها الهداية بالقرآن الكريم الرجوع إلى أقوال المفسرين حولها للاهتداء بما ذكروه لاستنباط بعض المضامين التربوية التي حولها، ومن هذه المضامين، ما يلي:

أ - مضامين تربوية عامة.

ومن المضامين التربوية العامة التي تستنبط من آيات القرآن الكريم بعامة ومن الآيات التي ترتبط فيها الهداية بالقرآن الكريم بخاصة، ما يلي:-

١) الحكم بما شرع الله وعدم الحكم بغيره.

طالما تأكدت هداية الكتب السماوية للإنسان وخاتمها وأشرفها وأعظمها القرآن الكريم، فيجب وجوباً لازماً اتباعه والحُكم بكل ما جاء به، والعمل بما فيه في كل شؤون الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والإعلامية والتربوية وما إلى ذلك، فقد وصف الله تعالى من لم يحكم بما أنزل الله بالعديد من الصفات غير المحمودة، فوُصِف بالكافر ووُصِف بالظالم ووُصِف بالفاسق، فقال

تعالى: (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) (المائدة: من الآية٤٤)، وقال تعالى:(وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (المائدة: من الآية٤٥)، وقال تعالى: (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (المائدة: من الآية٤٧).

٢) التأكيد على العناية بالقرآن الكريم.

الاهتمام والعناية بالقرآن الكريم عناية فائقة قراءة وحفظاً وتدبراً وعملاً وطباعة ونشراً وتوزيعاً وتعليماً وتعلماً، وتشجيعاً لأهله ودعماً لهم بكل وسائل الدعم المعنوية والمادية أمر مطلوب شرعاً، ومؤكد عملاً، وتتأكد مدارسة القرآن والعناية به في كل وقت وخصوصاً في شهر رمضان المبارك لأنه شهر نزول القرآن، قال تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) (البقرة:١٨٥). وكان رسولنا الكريم ﷺ يدارسه جبريل عليه السلام القرآن في هذا الشهر الكريم، وقد ورد في مسند الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان من أجود الناس وأجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل يلقاه كل ليلة يدارسه القرآن (حديث رقم ٣٥٣٩، ج ١، ص ٣٧٣).

ولاشك أن هذه العناية هي من دواعي حفظه الذي قال عنه الخالق سبحانه وتعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر:٩)، فهنيئاً لمن وفقه الله واستعمله لهذا الحفظ بأية وسيلة من وسائل الحفظ والتي تندرج تحت ما ذكرت آنفاً من أنواع العناية بالقرآن العظيم.

٣) التسليم المطلق بكل ما جاء به القرآن الكريم.

التسليم والاستجابة والتصديق المطلق بكل ما جاء به القرآن الكريم، لأن كل ما فيه حق لا مرية فيه ولا جدال، فيجب على المسلم التنبه لذلك وعدم

الإصغاء لحقد الحاقدين وتزييف المرجفين وأقوال أعداء الملة والدين، فقبول التشكيك بما جاء به القرآن الكريم تشكيك في النبوة بل تشكيك في دين الله تعالى، وقبول ذلك التشكيك يؤدي إلى ضياع البشرية وتصدع الحياة وتعم الفوضى والانحلال والفساد لأنها تركت منهاجها وسراجها الذي تستنير به في مدلهمات حياتها، فأضحت الحياة أشبه ما تكون بالحياة البهيمية التي لا هم لهم إلا الأكل والشرب والملبس وإشباع الشهوات والملذات.

٤) الثبات في العقيدة والأخلاق.

إن الالتزام بكتاب الله تعالى وبكل ما جاء به يعطي الإنسان المؤمن ثباتاً في الحياة الدنيا، ثباتاً في العقيدة، ثباتاً في الأخلاق، ثباتاً في الأعمال والأقوال، ذلك لأنه ترسم توجيهات القرآن الكريم وأوامره ونواهيه في كل شؤون حياته، ولا شك أن التطبيق العملي لكل ما جاء به القرآن الكريم محصور في شخصية نبينا الكريم ﷺ الذي كان خلقه القرآن، كما أخبرت بذلك أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عندما سئلت عن خلق رسول الله ﷺ فقالت:" كان خلقه القرآن " (مسند الإمام أحمد، ج ٦، ص ٩١).

وبذلك يجب على الإنسان المسلم الذي يريد الثبات على المنهج القويم والسعادة في الدنيا والآخرة أن يتخلق بأخلاق رسول الله ﷺ امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ (الأحزاب: ٢١)، ويتأكد هذا التطبيق لمن هم في موضع القدوة والأسوة مثل الوالدين والمعلمين والرؤساء وأصحاب المناصب العليا والعلماء والدعاة والوعاظ ومن في حكمهم.

٥) تدبر القرآن والعمل به.

القرآن الكريم كتاب الله سبحانه وتعالى، ويجب على الإنسان المسلم العناية بقراءته، وحفظه، وتجويده، ويهتم ويحرص على تدبره، والعمل به، ولو قضى فيه جل يومه، وكل عمره لم يعد مكثراً لأنه يستحق ذلك وأكثر، قال تعالى: (وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ) (الإسراء: من الآية١٠٦)، وقال تعالى: (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) (المزمل: الآية٤).

وقد أوضح الإمام النووي رحمه الله بأن العلماء اتفقوا على استحباب قراءة القرآن وترتيله ترتيلاً فقال: ثبت عن أم سلمة رضي الله عنها أنها نعتت قراءة رسول الله ﷺ قراءة مفسرة حرفاً حرفاً (الترمذي، باب ما جاء كيف كان قراءة النبي ﷺ، حديث رقم ٢٩٢٣، ج ٥، ص ١٨٢)، و عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته يقرأ سورة الفتح يرجع في قراءته (صحيح مسلم، حديث رقم: ٧٩٤، ج ١، ص ٥٤٧)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لأن أقرأ سورة أرتلها أحب إلي من أن أقرأ القرآن كله، وعن مجاهد أنه سُئل عن رجلين قرأ أحدهما البقرة وآل عمران والآخر البقرة وحدها وزمنهما وركوعهما وسجودهما وجلوسهما واحد، فقال: الذي قرأ البقرة وحدها أفضل، وقد نهي عن الإفراط في الإسراع ويسمى الهذرمة (النووي، التبيان في آداب حملة القرآن، ص ٤٥).

والمتأمل والناظر لأحوال الكثير من المسلمين اليوم وما آلوا إليه تجاه القرآن الكريم يمكن أن يقسم علاقتهم به إلى عدة أقسام من أهمها ما يلي:-

١ – عدم العناية بقراءته ألبتة.

٢- قراءته في رمضان فقط.

٣- قراءة سورة الكهف في يوم الجمعة فقط، أو قراءة بعض السور التي ورد فيها فضل معين كقراءة سورة يس، أو سورة الواقعة، أو سورة الملك وغير ذلك.

٤- قراءة القرآن في فترات غير محددة في السنة حسب الظروف.

٥- عدم العناية بتدبر القرآن وفهم معانيه.

٦- الرجوع لمعاني القرآن عند الحاجة لذلك، إما لفهم معنى آية، أو الدخول في مسابقات ثقافية، وما إلى ذلك.

٧- العناية بحفظ القرآن وعدم العناية بتدبره والعمل بما فيه.

لذلك أنصح نفسي أولاً، ثم أخواني المسلمين أن يضعوا القرآن نصب أعينهم، وأن يولوه العناية العظمي، وأن يكون ترتيبه الأول ضمن قائمة اهتماماتهم، ثم تأتي الاهتمامات الأخرى بعده، وأن لا يشغلهم معه أي شاغل، وأن يتعاون في ذلك الأفراد والجماعات على مختلف مستوياتهم والمؤسسات الحكومية والأهلية دون استثناء لأنه مصدر خيرنا وعزنا ووحدتنا وقوتنا والآيات الأحاديث الواردة في هذا الباب كثيرة جداً، قال تعالى: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً (الإسراء:٩). وعن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: " إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض " (الحاكم، حديث رقم ٣١٩، ج ١، ص ١٧٢).

٦) مخاطبة القرآن للعقلاء دون غيرهم.

الإنسان العاقل يبحث دائماً عن الحق والحقيقة، ونجد القرآن الكريم يحرص على مخاطبة العقل فهو مناط التكليف، ويختم القرآن الكثير من الآيات بقوله: (أفلا تعقلون، لعلكم تعقلون، إن كنتم تعقلون، يا أولي الألباب، أولي النهى، لعلكم تتفكرون، أفلا تتفكرون، أفلا يتدبرون)، وهذه الإشارات والدلالات لإعمال العقل تؤكد أن كل ما في القرآن الكريم حق مطلق لا مرية فيه، قال تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ (الإسراء: من الآية١٠٥) ومن أعمل عقله وتدبر وتفكر وتأمل بما حواه القرآن الكريم من العدل والإنصاف والأخلاق الجميلة والأمور المستحسنة الحميدة، ونهيه عن الظلم والأمور القبيحة والأخلاق الردية والأفعال الذميمة (الطبري، ج ١٥، ص ١٧٧)، أقول: سوف يصل بإذن الله تعالى وتوفيقه إلى الحقيقة التي يطمئن قلبه إليها، والتي توصله برحمة الله تعالى إلى رضوانه وجناته.

٧) التأكيد على أهمية الذكر وفضله.

ذكر الله تعالى نور للبصائر تسترشد به إلى الطرق الموصلة إلى الخير وتبعد عن الطرق الموصلة إلى الضلالة و الغواية، والنصوص الشرعية من الكتاب والسنة كثيرة جداً تؤكد فضل الذكر والمداومة عليه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا، وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الأحزاب: ٤١-٤٢)، وعن أبي الدرداء ﷺ قال: قال النبي ﷺ: ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والوَرِق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا: بلى، قال: ذكر الله تعالى (الترمذي، حديث رقم: ٣٣٧٧، ج ٥، ص ٤٥٨). (خير لك من إنفاق الذهب والفضة).

ومن خلال مشاهداتي اليومية والنظر في أحوال الناس أجد في الغالب الأعم أن ما يصيبهم من غم وهم ونكد وضيق عيش وضيق صدر يكون بسبب بعدهم عن الله تعالى وعن ذكر الله، وهذا يُصَدِّقُه قول الله تعالى: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً) (طه: من الآية١٢٤). وقوله والعكس بالتأكيد هو الصحيح فما على العاقل البصير إلا التأمل والنظر وسيلحظ الفارق بين من يذكر الله وبين من لا يذكر الله، وهذا الفارق بينه الرسول ﷺ فقال: مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر مثل الحي والميت (صحيح البخاري، حديث رقم: ٦٠٤٤، ج ٥، ص ٢٣٥٣).

ولاشك أن أفضل الذكر قراءة القرآن كلام الله تعالى ويكفيه ذلك شرفاً وفضلاً واشتغالاً به دون غيره، وبعد أن اتضحت أهمية ذكر الله وفضله فيجب علينا معاشر المسلمين أن نجند أنفسنا وأهلينا ومن نحب وأن نتواصى ونتناصح ونذكر بعضنا بعضاً إلى هذه المائدة العظيمة التي حوت أطايب الخير كله، وبها تحصل السعادة والاطمئنان وخصوصاً هذه الأيام التي شغلتنا فيها الدنيا ومتطلباتها عن هذا الفضل الكبير، قال تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) (الرعد:٢٨).

٨) نعمة إرسال الرسل وإنزال الكتب.

إن الله عز وجل لطيف بعباده رحيم بهم، تفضل عليهم بالعديد من النعم التي لا تعد ولا تحصى، بل أن كل نعمة يتنعم بها الإنسان، هي من الله، قال تعالى: (وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ) (النحل: من الآية٥٣)، ولا شك أن هناك نعم عظيمة تأتي في مقدمة النعم، وهي نعمة إرسال الرسل وخاتمها نبينا محمد ﷺ

وإنزال الكتب وخاتمها القرآن الكريم، قال تعالى: (فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى) (طه: من الآية١٢٣)، يقول القرطبي رحمه في تفسيره: يعني الرسل والكتب، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ضَمِنَ الله تعالى لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة (ج ١، ص ٩).

فيجب على المسلم الذي وفقه الله تعالى لنعمة الهداية لهذا الدين العظيم أن يحرص على اتباع الرسول ﷺ وما أخبر به لأنهما نعمتان امتن الله بهما علينا كرماً وفضلاً منه سبحانه وتعالى، وينبغي أن يقابل هذا الخير الجليل بشكر المنعم به شكراً يكافئ قدر هذه النعمة وأنى له ذلك، فقدوتنا في ذلك نبينا محمد ﷺ فكان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه وهو قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فكان يقول أفلا أكون عبداً شكوراً (صحيح البخاري، حديث رقم: ٦١٠٦، ج ٥، ص ٢٣٧٥).

وعلينا معاشر المسلمين أن نستشعر هذه النعمة فكثير ممن يعيش معنا اليوم على هذه الأرض قد حُرِمَها، ومن حُرِمَها فقد حُرِمَ خيراً كثيراً وخسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران العظيم، وبعض ناشئتنا اليوم للأسف الشديد لم يستشعر ذلك وأخذ يتفلت من قيم ومبادئ ديننا مقلداً ومحاكياً الحضارة الغربية وما فيها من فساد أخلاقي كبير، ولا شك أن هذا جهل وقصور وانتكاسة عظيمة لكونه يستبدل الأدنى بالذي هو خير، لذلك يجب على الأسرة المسلمة ابتداءً وكافة المؤسسات التربوية العناية بهؤلاء الناشئة واحتضانهم وتربيتهم وبيان عظمة ديننا ومبادئنا وقيمنا، ثم بيان زيف وانحراف الحضارة الغربية وعيوبها وخطرها.

ب: مضامين تربوية مباشرة.

تحتوي الآيات التي ترتبط فيها الهداية بالقرآن الكريم على مضامين تربوية مباشرة، ومن تلك المضامين، ما يلي:-

١: كتاب هداية للناس عامة.

قال تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ) (البقرة: ١٨٥)، وقال تعالى: (هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ) (آل عمران: ١٣٨)، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) (يونس: ٥٧).

ويتضح من ذلك أن القرآن العظيم كتاب هداية للناس عامة للمسلم وغير المسلم يبين لهم الخير ويحذرهم من الشر، ولكن لا ينتفع بهدايته في اتباع أوامره واجتناب نواهيه إلاّ المتقون. (نسأل الله الكريم أن يجعلنا منهم).

٢) كتاب هداية حتى للجن.

قال تعالى: (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً) (الجن: ١-٢)، وقال تعالى: (وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ بَخْساً وَلا رَهَقاً) (الجن: ١٣).

الإنس والجن كلاهما مكلفون باتباع ما جاء به نبينا محمد ﷺ، وأصل ذلك قائم على عبادة الله تعالى التي هي أساس التكليف الرباني، قال الله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذريات: ٥٦).

٣) بالتقوى والإيمان الخالص تحصل الهداية.

قال تعالى: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ} (البقرة:٢)، وقال تعالى: {هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} (الأعراف:٢٠٣)، وقال تعالى: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} (النحل:٨٩)، وقال تعالى: {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدىً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} (النحل:١٠٢)، وقال تعالى: {هُدىً وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ} (لقمان: ٣)، وقوله تعالى: {هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} (الجاثية: ٢٠)، وقال تعالى: {طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ، هُدىً وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} (النمل: ١-٢).

ويتبين من هذه الشواهد القرآنية الكريمة أن الوسيلة الوحيدة لهداية القرآن العظيم تحصل بالتقوى والإيمان الخالص وما يتفرع من هذه الخصال الحميدة من خصال موازية لها، أو متفرعة عنها كالإحسان والإسلام، فالمتقون والمؤمنون هم الذين ينتفعون بما فيه من أوامر ونواهٍ، أما من لم يتصف بهذه الخصال الخيرة والنبيلة فلا تحصل له الهداية القرآنية، قال تعالى: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدىً وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} (محمد:١٧)، يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره أي: والذين قصدوا الهداية وفقهم الله تعالى لها فهداهم إليها وثبتهم عليها وزادهم منها وآتاهم تقواهم أي ألهمهم رشدهم.

ولو تأملنا بعض آيات القرآن الكريم لوجدنا أن التقوى تكررت في القرآن عشرات المرات ويدل ذلك على عظم قدرها ومكانتها وأهميتها، وهي وصية الله تعالى للأولين والآخرين، قال تعالى: {وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ

اتَّقُوا اللَّهَ)(النساء: من الآية١٣١)، وقد شملت توجيهات القرآن الكريم وجوب تقوى الله تعالى حتى لنبينا ﷺ، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ) (الأحزاب: من الآية١)، وللمؤمنين أيضاً، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ) (البقرة: من الآية٢٧٨)، وقد تكررت مثل هذه الآية كثيراً في كل من: (آل عمران: من الآية١٠٢)، (المائدة: من الآية٣٥)، (التوبة: من الآية١١٩)، (الأحزاب: من الآية٧٠)، (الحديد: من الآية٢٨)، (الحشر: من الآية١٨)، وقد جاءت وصية الله بتقواه للناس كافة، فقال تعالى:(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُم) (النساء: من الآية١)، وقد تكررت أمثالها في كل من: (الحج: من الآية١)، (لقمان: من الآية٣٣).

ويجب علينا معاشر المسلمين – بعد بيان أهمية تقوى الله تعالى – أن نتقيه تعالى في السر والعلن ونلتزم بشرعه فيما أمر به واجتناب ما نهى عنه، وأن نتواصى جميعاً أفراداً وجماعات نساءً ورجالاً كباراً وصغاراً وكل المؤسسات الحكومية والأهلية على مراعاة تقوى الله واتخاذ كل السبل الموصلة لذلك، حتى يصبح الفرد المسلم والأسرة المسلمة والمجتمع المسلم والأمة المسلمة كلهم يسيرون وفق منهج الله وشرعه في دقائق أعمالهم وجلها وفي قولهم وفعلهم وفي سرهم وعلانيتهم.

٤) الهداية إلى الحق والخير.

قال تعالى: (قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة:٣٨)، وقال تعالى: (قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى) (طه:١٢٣).

إن الإنسان الذي خلقه الله تعالى وقدر له أن يعيش على الأرض وتخاصمت الملائكة في وجوده على الأرض، قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ)(البقرة: ٣٠).

هذا التوجيه الرباني بخلق الإنسان وعلمه المطلق سبحانه وتعالى بما سيكون عليه الإنسان من أعمال في الدنيا، قد تكرم خالقه جل في علاه عليه فلم يتركه يتخبط في متاهات الأفكار الناشزة والعقائد الفاسدة بل هيأ له ما يعينه في دنياه فكان إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام وإنزال الكتب التي تهديه للحق والخير ومن استهدى بغيرهما ضل وتخبط وتاه وتحير، قال تعالى: (قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة:٣٨)، وقال تعالى: (قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى) (طه:١٢٣). قال ابن عباس رضى الله عنهما تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة وقرأ قوله تعالى: (قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مني هدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يشقَى) (طه:١٢٣) (ابن تيمية، الفتاوي، ج ٣، ص ١٢٧).

٥) عظم جرم من جحد آيات الله.

قال تعالى: (أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ)(الأنعام:١٥).

إن المكذبين بآيات الله تعالى الجاحدين لها هم أظلم الظالمين وأجرم المجرمين، لأنهم علموا بها و لم يعملوا بما احتوت عليه من هدى على عكس من لم يعلموا بذلك فإنهم أخف ظلماً منهم وهذا ينطبق عليه قول الشاعر:

إن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

وقد وعد الله تعالى المكذبين بآياته صنوفاً من الوعيد ومن ذلك:

١- أبدية عدم الفلاح في الدنيا والآخرة، قال تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) (الأنعام: ٢١).

٢- جعل الله للمكذبين بآياته على قلوبهم أغطية تمنعهم من أن يفقهوا آياته وإن سمعوها فلا يجدوا لذلك فائدة، قال تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً) (الكهف: ٥٧).

٣- رتب الله تعالى جزاء هذا الكذب والافتراء على الله والصدود عن آياته جهنم فتكون مستقراً لهم وساءت مصيرا قال تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْكَافِرِينَ) (العنكبوت: ٦٨).

٤- استحقاق انتقام الله لهم لشناعة جرم ما اقترفوه، قال تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ) (السجدة: ٢٢).

٦) شدة تأثير القرآن في النفوس.

قال تعالى: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) (الزمر: ٢٣).

القرآن العظيم مؤثر غاية التأثير في النفوس لما يتضمنه من معانٍ سامية، وألفاظٍ محكمة، وقصص واقعية، ومواعظ بليغة، وتوجيهات صادقة، تخاطب النفس الإنسانية فتجد النفوس المطمئنة لكل ذلك تأثيراً يسكن شغاف القلوب ويجعلها تحلق في سماء الإيمان بين الرجاء والخوف متذكرة وعد الله ووعيده، وترغيبه وترهيبه، مؤملة ومتفائلة في جميل كرم الله وعظيم عفوه وواسع رحمته الذي وسعت كل شئ فهو أهل للعفو والمغفرة والرحمة.

وقد كان الرسول ﷺ يخطب يوم الجمعة بسورة (ق)، فعن أم هشام بنت حارثة بن النعمان رضي الله عنهما قالت: لقد كان تنورنا وتنور رسول الله ﷺ واحداً سنتين أو سنة وبعض سنة وما أخذت (ق، والقرآن المجيد) إلا عن لسان رسول الله ﷺ يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس (رواه مسلم، باب التغليظ في ترك الجمعة، حديث رقم: ٨٧٣، ج ٢، ص ٥٩٥)، وقد ورد في الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قدم رجلان من المشرق فخطبا فعجب الناس لبيانهما فقال رسول الله ﷺ: إن من البيان لسحرا أو إن بعض البيان لسحر (البخاري، باب إن من البيان سحرا، حديث رقم: ٥٤٣٤، ج ٥، ص ٢١٧٦).

إن من البيان لسحرا كما أخبر الرسول ﷺ، فكيف إذا كان هذا البيان هو كلام الله تعالى الكلام الذي أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير، لذلك يجب على الدعاة إلى الله الحرص والعناية التامة بالتذكير بكلام الله عز وجل من خلال مواعظهم ودروسهم ومحاضراتهم لضمان التأثير والتفاعل من الآخرين لما يقولون، مع التأكيد أن تكون الاستشهادات في مواقعها وعدم التكلف أو لوي عنق الآيات لإثبات أمر يكون النص بعيداً عنه فيحدث ردة فعل غير مناسبة لذلك، وهذا يتطلب سعة علم وسعة فقه وحكمة في العرض والتحليل والإلقاء.

إن هذا التأثير العجيب الذي تميز به القرآن الكريم ينبغي أن يُحرص عليه كل الحرص ويُبحث عن وسائله و يُتهيأ له، وهناك جملة من التوجيهات الشرعية المعينة لذلك بحول الله وقوته، ومنها:

١- تدبر آيات القرآن، قال تعالى: (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً) (النساء: ٨٢)، وقال تعالى: (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) (محمد: ٢٤).

٢- تحسين الصوت أثناء قراءة القرآن، والأحاديث الواردة في هذا الباب كثيرة منها: قال ﷺ: " ليس منا من لم يتغن بالقرآن " (صحيح البخاري، حديث رقم ٧٠٨٩، ج ٦، ص ٢٧٣٧). وقال ﷺ: " زينوا القرآن بأصواتكم " (الحاكم، حديث رقم ٢٠٩٨، ج ١، ص ٧٦١) وقال ﷺ: " لله أشد أذناً للرجل حسن الصوت من صاحب القينة إلى قينته " (الحاكم، حديث رقم ٢٠٩٧، ج١، ص ٧٦٠) وقوله ﷺ: " ما أذن الله لشيء ما أذن للنبي أن يتغنى بالقرآن " (صحيح البخاري، حديث رقم ٤٧٣٦، ج ٤، ص ١٩١٨).

٣- الدعاء بطلب الإعانة على تلاوة القرآن وجعله ربيع القلوب، فمن ذلك ما ورد في الحديث، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال رسول ﷺ: ما أصاب مسلماً قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك وابن أمتك ناصيتي في يدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور بصري وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله همه وأبدله مكان حزنه فرحاً (الحاكم، حديث رقم ٩٧٢، ج ٣، ص ٢٥٣).

٤- حُسن الاستماع والإنصات للقرآن، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأعراف:٢٠٤)، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ (القيامة:١٨)، أي: فاستمع له وأنصت (انظر ابن كثير، ج ٤، ص ٤٥٠).

٥- أن يحرص المسلم على مداومة قراءة القرآن في كل وقت وأن يعطى أهم الأوقات ليس نافلتها حتى تسكن حروفه ومعانيه وتوجيهاته قلبه وعقله فيصبح تأثيره تلقائياً في حركاته وسكناته.

٦- قراءة سيرة الرسول ﷺ في تأثيره بالقرآن وصحابته الكرام رضوان الله عليهم والتابعين لهم بإحسان رحمهم الله فهم خير من يُقتدى بهم.

٧) دعوة أهل الكتاب إلى الاحتكام إلى القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة:١٥-١٦).

دعوة أهل الكتاب اليهود والنصارى إلى الاحتكام للقرآن الكريم الذي بين الكثير مما يخفونه عن الناس كآية الرجم وصفة الرسول ﷺ، وهذا دليل على نبوته ورسالته، ولا شك أن هذه الدعوة تتأكد هذه الأيام لبيان سماحة الإسلام وصدق دعوته وحبه للعدل والسلام والخير لكل الناس ونبذ الغلو والتطرف والإرهاب بعد أن شوهت صورة الإسلام من أعدائه من جهة، ومن بعض أبنائه الذين انساقوا وراء شبهات ضالة وأفكار منحرفة بسبب صغر سنهم وجهلهم وابتعدوا عن الحكمة في التعامل مع غير المسلمين من جهة، وضعف المسلمين المعتدلين

المخلصين في تبليغه على الوجه المطلوب من جهة أخرى، وهذا المعنى جاء موضحاً في قوله تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) (آل عمران:٦٤).

ومما ينبغي التأكيد عليه هنا أن يكون التبليغ لغير المسلمين بأساليب الدعوة الشرعية المعروفة، حيث لا يتصدى لذلك إلا أهل العلم والبصيرة والحكمة، قال تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (يوسف:١٠٨)، ويجب أن تكون الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، قال تعالى:(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)(النحل:١٢٥) وقال تعالى: (وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (العنكبوت:٤٦)، وقال تعالى: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً) (البقرة: من الآية٨٣)، وقال تعالى: (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوّاً مُبِيناً) (الإسراء:٥٣).

٨) وجوب اتباع ما جاء من عند الله تعالى (قرآناً وسنة).

قال تعالى: (وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (الأعراف:٢٠٣).

حتمية ووجوب اتباع ما جاء من عند الله تعالى، وهو الصراط المستقيم ففي ذلك الخير والسعادة في الدنيا والآخرة، والبعد عن الطرق البعيدة عن منهج الله فإنها شر عظيم من انساق وراءها خاب وخسر الدنيا والآخرة، قال تعالى:

وقال تعالى: (قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمىً) (فصلت: من الآية٤٤).وفي الحديث، عن عبد الله ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: عليكم بالشفاء ين العسل والقرآن (ابن ماجه، حديث رقم ٣٤٥٢، ج ٢، ص ١١٤٢).

ولذلك يجب علينا معاشر المسلمين العودة بصدق وتوجه تام للاستشفاء بالقرآن الكريم وأن يكون هو مفزعنا الأول عند حلول الأمراض لا قدر الله، وقبل ذلك ينبغي علينا العودة إلى أقوال العلماء في هذا الموضوع ومعرفة توجيهاتهم وإرشاداتهم حول الاستشفاء بالقرآن الكريم لتحصل الاستفادة المرجوة بإذن الله تعالى.

١٠) التأكيد على سنة الاختلاف.

قال تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرائيل أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، وَإِنَّهُ لَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) (النمل:٦٧-٧٧)، و قال تعالى: (وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (النحل: ٦٤).

الاختلاف سنة كونية قررها خالق الكون وخالق الإنسان جلّ وعلا، قال تعالى: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) (هود:١١٨-١١٩)، وقال تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ)(فاطر: ٢٨)،قال تعالى:(وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ)(الروم: ٢٢).

وهذه السنة كغيرها من السنن الكونية تأتي لكي يستقيم الوجود وتتوازن حركته وفق معطيات خالقه، فتخيل لو كان الناس كلهم مهتدون على دين الإسلام – ولا شك أن الله قادر على ذلك – فما الحاجة إذن إلى إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام، وما الحاجة إلى إنزال الكتب السماوية، وما الحاجة إلى الوعد بالجنة والوعيد بالنار أصلاً، ولو كان الناس كلهم يجيدون فقط مهنة واحدة ؛ مهنة الطب مثلاً لتعطلت حركة الحياة، لأن هناك مهناً متنوعة وكثيرة يحتاجها الناس في المجتمع الواحد، فمنها: مهنة الهندسة، ومهنة النجارة، ومهنة الخبازة، ومهنة الجزارة، ومهنة الخياطة، ومهنة الحدادة،ومهنة التعليم، إلى غير ذلك مما يحتاجه المجتمع، ولذلك قال تعالى: (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) (الزخرف: ٣٢)، ويقول سيد قطب رحمه الله في الظلال إن التفاوت في الرزق هو الذي يسخر هذا لذاك، ويسخر ذاك لهذا في دورة الحياة، العامل مسخر للمهندس ومسخر لصاحب العمل والمهندس مسخر للعامل ولصاحب العمل، وصاحب العمل مسخر للمهندس وللعامل على السواء، وكلهم مسخرون للخلافة في الأرض بهذا التفاوت في المواهب والاستعدادات، والتفاوت في الأعمال والأرزاق (ج٥، ص ٣١٨٧).

١١) إرسال الرسل من نفس جنس قومهم.

قال تعالى: (وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) (النحل: ٨٩).

قرر الله سبحانه وتعالى إنزال الرسل لهداية الناس، ومن حكمة الله تعالى ولطفه بعباده أن جعل الرسل من نفس جنس قومهم ويتكلمون بلغتهم، حتى يكون أقرب إلى قلوبهم وعقولهم وأنفع وأقرب لهدايتهم على عكس إذا كانوا غير ذلك، قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (إبراهيم: ٤).

وهذا التوجه القرآني الكريم يتطلب الاستفادة منه في عدة أمور مهمة منها:

١- أن يجيد الداعية لغة من يدعوهم إجادة تامة، وإذا كان من جنسهم فهذا مطلب عظيم يُحرص عليه لما يترتب عليه مكن فوائد عظيمة.

٢- أن يتولى من يسوس قوماً في أمر من الأمور أن يكون من جنس قومه لكونه يعرف الكثير من طباعهم وعاداتهم وتقاليدهم وما إلى ذلك.

٣- على الدعاة والمصلحين وكل من يعنيهم تربية الأمة إفراغ الوسع وغاية الجهد في بذل النصح والإرشاد والتوجيه مقروناً بالعلم الشرعي الأصيل والأسلوب الدعوي المراعي للأحوال والمتغيرات وفق إطار وقواعد الدين.

١٢) الإنسان مسؤول عن هدايته أولاً.

قال تعالى: (وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ) (النمل: ٩٢)، وقال تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ) (الزمر: ٤١).

لاشك أن الإنسان مسؤول عن هدايته أولاً، ثم يسأل عن هداية غيره، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (المائدة: ١٠٥)، وقال تعالى: (وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) (يوسف: ١٠٣).

فيجب على الإنسان المسلم أن يحرص على صلاح نفسه أولاً، ثم يبدأ بدعوة الوالدين، ثم الأسرة، ثم الإخوة، والأعمام والأخوال، ثم الأقرب فالأقرب، ويجب أن يبذل كل الوسع في ذلك وبأسلوب الدعوة الشرعي الذي يركز على العلم والحكمة في معالجة الأمور والصبر وعدم الاستعجال في النتائج.

١٣) الهداية تحصل بمشيئة الله تعالى وتوفيقه.

قال تعالى: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (الشورى:٥٢).

لقد مر معنا في صدر هذا البحث أن العلماء قسموا الهداية إلى قسمين رئيسيين القسم الأول: بمعنى الدلالة والإرشاد والبيان وهو الذي يضاف إلى الرسل والقرآن والعباد، قال الله تعالى: (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (الشورى: من الآية٥٢)، والقسم الثاني: بمعنى اللطف والتوفيق والعصمة والتأييد وهو الذي تفرد الله به، ومنه قوله تعالى: (إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) (القصص: الآية٥٦)، ولآية الكريمة هنا تؤكد على القسم الثاني من الهداية.

لذلك يجب على المسلم أن يستحضر عظمة الله وقدرته في كل حين، ويسعى لتحري الأوقات الفاضلة للإلحاح على الله بالدعاء بالتوفيق والهداية والصلاح، قال تعالى: (وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) (هود: من الآية٨٨)، وقال تعالى: (قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ) (آل عمران: من الآية١٥٤)، وقال تعالى: (لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ) (الروم: من الآية٤).

١٤) أفضل الكتب وخاتمها وأكملها.

قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} (يوسف: ١١١)، وقال تعالى: {قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (القصص: ٤٩)، وقال تعالى: {قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ} (الأحقاف: ٣٠).

يجب أن يتأكد في ذهن الإنسان المسلم أن القرآن الكريم خاتم الكتب السماوية وأجلها وأفضلها وأكملها تشريعاً، ولقد جاء في مسند الإمام أحمد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه النبي ﷺ فغضب فقال أمتهوكون [أي: متردد ومتحير] فيها يا بن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به والذي نفسي بيده لو أن موسى ﷺ كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني (حديث رقم: ١٥١٩٥، ج ٣، ص ٣٨٧).

ويصدق هذا قوله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ} (المائدة:٤٨)، ويقول ابن كثير في تفسيره: فالقرآن أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله جعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها وأشملها وأعظمها وأكملها حيث جمع فيه محاسن ما قبله من الكمالات ما ليس في غيره، فلهذا جعله شاهداً وأميناً وحاكماً عليها كلها وتكفل تعالى حفظه بنفسه الكريمة دون غيره فقال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (الحجر: ٩) (ج ٢، ص ٦٦).

لهذا يتطلب تأكيد هذه الحقيقة في ذهن كل مسلم وخصوصاً الناشئة من أبناء المسلمين حتى يستقر ذلك في حسهم وشعورهم ووجدانهم بحيث لا يستطيع كائناً من كان تشويه هذه الحقيقة، ويتم ذلك من خلال كافة الوسائل الممكنة وبذل الجهود كل بحسبه، وتقع المسؤولية الكبرى على عاتق ولاة الأمر عموماً بدءاً من الوالدين وانتهاءً بالعلماء والحكام، وعلى الأثرياء ومحبي الخير دعم هذه الحقيقة وتثبيتها مع أهمية تنسيق الجهود وتوحيد المقاصد حتى تتحقق الأهداف المرجوة.

١٥) شمولية هداية القرآن الكريم في كل جوانب الحياة.

قال تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً) (الإسراء:٩)، وقال تعالى: (هَذَا هُدىً وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ) (الجاثية:١١)، سبق الحديث عن هذه الشمولية عند الحديث عن هداية القرآن الكريم (ص ٤١)، وقد بينت أقوال بعض المفسرين وتأكيدهم على شمول هداية القرآن الكريم لكل مناحي الحياة.

١٦) حسن الظن بالله تعالى في نصرة هذا الدين.

قال تعالى: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) (التوبة:٣٣)، وقال تعالى: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً)(الفتح:٢٨)، وقال تعالى: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) (الصف:٩).

في هذا الزمان تكالب أعداء الملة والدين على الإسلام وقويت شوكتهم بسبب سيطرتهم على مقومات الحياة المادية وفي مقدمتها الاقتصاد والسياسة

والإعلام، ولم يجدوا مقاومة حقيقية تذكر من أبناء الإسلام الأمر الذي هيأ لأعدائنا السيطرة علينا وفرض توجهاتهم ومطالبهم التي يخالف كلها أو جلها أصول الدين وقواعده الأساسية.

ومع هذا كله يجب على المسلمين بعامة والعلماء والدعاة وطلبة العلم بخاصة أن يبثوا في نفوس الناس الأمل وحسن الظن بالله تعالى بنصرة هذه الدين ما بقي الليل والنهار بعز عزيز وذل ذليل، ولو كره المشركون، وكفى بالله العزيز القدير شهيدا.

ولكن يجب في هذا الإطار السعي إلى الأخذ بأسباب التقدم والتفوق والنصر وفي مقدمتها الإيمان بالله تعالى والاعتماد والتوكل عليه، وتقديم كتاب الله عز وجل وسنة نبيه منهاجاً ونبراساً لحياتنا في كل حركاتنا وسكناتنا، وفي كل كبيرة وصغيرة من شؤون حياتنا، فلن يصلح حال أمتنا اليوم إلا ما صلح به حال سلفنا الصالح في عصور الإسلام الأولى.

الثاني عشر: الخاتمة.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على إمام المتقين وسيد الأولين والآخرين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد:-

فقد تم التركيز في هذا البحث على هداية القرآن الكريم من خلال النظر والتأمل في الآيات الكريمة التي ترتبط فيها الهداية بالقرآن في الآية الواحدة، وبتوفيق الله تعالى تم حصر جملة من هذه الآيات الشريفة وجرى الرجوع إلى كتب التفسير للتعرف على ما حوته من مضامين تربوية يمكن الاستفادة منها كأطر عامة وإرشادات وتوجيهات تفيدنا بإذن الله تعالى في واقعنا المعاصر الذي نحن فيه بحاجة ماسة إلى هداية القرآن الكريم.

وقد تطلب الموضوع تقسيم هذه المضامين إلى قسمين رئيسيين تندرج تحتها جملة من التوجيهات والإرشادات التي تم التوصل إليها، وهي:

أ - مضامين تربوية عامة.

وهي مضامين مستنبطة من آيات القرآن الكريم بعامة ومن الآيات التي ترتبط فيها الهداية بالقرآن الكريم بخاصة، وهي:-

١) الحكم بما شرع الله وعدم الحكم بغيره.
٢) التأكيد على العناية بالقرآن الكريم.
٣) التسليم المطلق بكل ما جاء به القرآن الكريم.
٤) الثبات في العقيدة والأخلاق.

٥) تدبر القرآن والعمل به.
٦) مخاطبة القرآن للعقلاء دون غيرهم.
٧) التأكيد على أهمية الذكر وفضله.
٨) نعمة إرسال الرسل وإنزال الكتب.

ب: مضامين تربوية مباشرة.

وهي مضامين مستنبطة من الآيات التي ترتبط فيها الهداية بالقرآن الكريم مباشرة، وهي:-

١) كتاب هداية للناس عامة.
٢) كتاب هداية حتى للجن.
٣) بالتقوى والإيمان الخالص تحصل الهداية.
٤) الهداية إلى الحق والخير.
٥) عظم جرم من جحد آيات الله.
٦) شدة تأثير القرآن في النفوس.
٧) دعوة أهل الكتاب إلى الاحتكام إلى القرآن الكريم.
٨) وجوب اتباع ما جاء من عند الله تعالى (قرآناً وسنة).
٩) دور القرآن الفاعل في شفاء الأسقام المعنوية والحسية.
١٠) التأكيد على سنة الاختلاف.
١١) إرسال الرسل من نفس جنس قومهم.
١٢) الإنسان مسؤول عن هدايته أولاً.
١٣) الهداية تحصل بمشيئة الله تعالى وتوفيقه.

١٤) أفضل الكتب وخاتمها وأكملها.
١٥) شمولية هداية القرآن الكريم في كل جوانب الحياة.
١٦) حسن الظن بالله تعالى في نصرة هذا الدين.

وبنظرة عامة إلى المضامين التربوية السابقة المستنبطة من الآيات التي ترتبط فيها الهداية بالقرآن الكريم يُلحظ بوضوح تام شمولها للعديد من جوانب الحياة الأساسية التي يهدف إليها القرآن الكريم، وفي مقدمتها أنه الكتاب الوحيد الصالح لكل زمان ومكان واحتوائه على هداية الناس عامة، بما فيه من الخير والسعادة لمن آمن به وطبقه تطبيقاً صحيحاً ابتداءً من الإنسان نفسه مروراً بأسرته ومجتمعه وأمته.

والله أسأل أن يكون هذا العمل خالصاً لوجه وابتغاء مرضاته، وأن يكون عاملاً نافعاً مباركاً، يضيف جديداً لمكتبة التربية الإسلامية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد. سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليه.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم وعلومه.

١- القرآن الكريم.

٢- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.

٣- البيضاوي، أبو الخير عبد الله الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الفكر، بيروت – لبنان، في تفسيره ، ١٤٠٢هـ.

٤- الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن ، دار المعرفة، ١٣٩١هـ.

٥- السعدي، عبدالرحمن، تيسير الكريم الرحمن في تفسيركلام المنان، مؤسسة دار الرسالة، بيروت – لبنان، ١٤١٨ هـ.

٦- السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال، الدار المنثور، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٣هـ.

٧- الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤٢١ هـ.

٨- الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٩- عرجون، محمد الصادق، القرآن العظيم هدايته وإعجاز في أقوال المفسرين، دار القلم، دمشق، ١٤١٠هـ.

١٠- القرطبي، محمد أحمد، تفسير القرطبي، دار الشعب، القاهرة،ط ٢، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، ١٣٧٢ هـ.

١١- قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ١٤٠٠هـ.

١٢- النووي، محيي الدين، التبيان في آداب حملة القران، الوكالة العامة للتوزيع، دمشق، ١٤٠٣هـ.

ثانياً: السنة النبوية الشريفة وعلومها.

١٣- ابن أبي شيبة، أبي بكر عبد الله محمد، مصنف ابن أبي شيبة ، مكتبة الرشد، تحقيق:كمال يوسف الحوت، الرياض، ١٤٠٩هـ.

١٤- ابن حبان، محمد، صحيح ابن حبان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ١٤١٣هـ.

١٥- ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد، مؤسسة قرطبة، مصر، د ـ ت.

١٦- ابن رجب، أبي الفرج عبد الرحمن، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، مؤسسة الرسالة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، ١٤١٠هـ.

١٧- ابن ماجة، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة، دار الفكر، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، د ـ ت.

١٨- أبو داود، سليمان ابن الأشعث، سنن أبي داود، دار الفكر،تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، د- ت.

١٩- أبو زهو، محمد محمد، الحديث والمحدثون، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤٠٤هـ.

٢٠- أبو عبد الله، مالك بن أنس، موطأ مالك، دار إحياء التراث العربي، تحقيق: فؤاد عبد الباقي، مصر، د- ت.

٢١- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار ابن كثير – اليمامة، بيروت، ط ٣، تحقيق/ مصطفى ديب البغا، ١٤٠٧ هـ.

٢٢- البيهقي، أحمد بن الحسين، سنن البيهقي الكبرى، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، تحقيق/ محمد عبد القادر عطا، ١٤١٤هـ.

٢٣- الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، د-ت.

٢٤- الحاكم، محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ.

٢٥- حسين، أبو لبابة بن الطاهر، السنة النبوية وحي من الله محفوظة كالقران الكريم، بحث مقدم لندوة عناية المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرة النبوية في الفترة ١٥- ١٧/٣/ ١٤٢٥ هـ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة.

٢٦- سعيد، الحسين بن محمد آيت ، السنة النبوية وحي من الله محفوظة كالقران الكريم، بحث مقدم لندوة عناية المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرة النبوية في الفترة ١٥- ١٧/٣/ ١٤٢٥ هـ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة.

٢٧- مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، د ــ ت).

٢٨- النووي ، يحيى بن شرف، شرح النووي على صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ.

٢٩- النسائي، أحمد بن شعيب، سنن النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ١٤٠٦هـ.

٣٠- المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي، الترغيب والترهيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ.

ثالثاً: الكتب التراثية والثقافية.

٣١- ابن تيميه، أحمد، مجموع فتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، ج ١، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٩٨هـ.

٣٢- ابن قيم ، محمد ابن أبي بكر أيوب، مدارج السالكين، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٣ هـ.

٣٣- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، مكتبة المعرف، بيروت، د-ت.

٣٤- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٤١٠هـ.

٣٥- الحلبي ، السيرة الحلبية ، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ.

٣٦- الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٤٠١هـ.

٣٧- عقيلان، أحمد فرج، أبطال ومواقف، دار المعراج الدولية للنشر، الرياض، ١٤١٨هـ.

٣٨- الغزالي، محمد أبي حامد، إحياء علوم الدين ، دار الخير، دمشق، ١٤١١هـ.

٣٩- الواسطي، محمد بن الحسن، مجمع الأحباب، دار المنهاج، د- م، ١٤٢٣هـ.

رابعاً: الصحف والمجلات.

٤٠- جريدة الوطن السعودية، العدد: (١٤١٧) وتاريخ ١٤٢٥/٨/٢٥هـ.

مطابع جامعة أم القرى
تليفون وفاكس : ٥٥٦٦٢٥٨

مطابع جامعة أم القرى
تليفون وفاكس: ٥٤٦٦٢٥٨